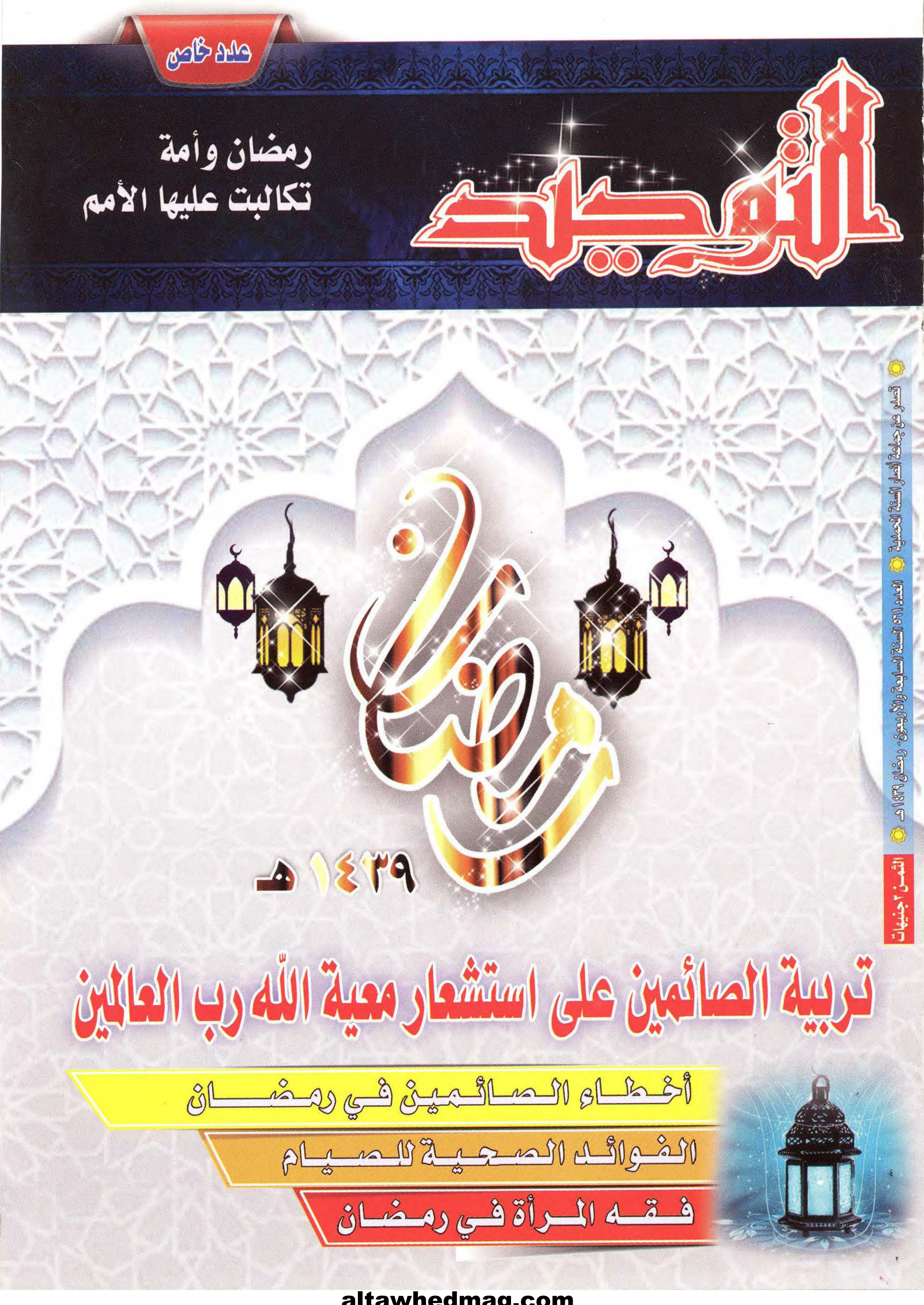

عدد خاص
التوحيد
رمضان وأمة
تكالبت عليها الأمم
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٦١ السنة السابعة والأربعون - رمضان ١٤٣٩ هـ
الثمن ٣ جنيهات
رمضان
١٤٣٩ هـ
تربية الصائمين على استشعار معية الله رب العالمين
أخطاء الصائمين في رمضان
الفوائد الصحية للصيام
فقه المرأة في رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾







السلام عليكم

دعوة الحَجَّاج وحُسن الحجاج

في لطائف المعارف لابن رجب قال: خرج الحجاج في بعض أسفاره، فنزل ذات يوم قائظ (شديد الحر) بماء بين مكة والمدينة، فدعا بغدائه فأحضر له الغداء، فقال: اطلبوا من يتغدى معنا، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيًّا، فأتوا به، فدار بين الحجاج والأعرابي هذا الحوار:

الحجاج: هلم أيها الأعرابي لنتناول طعام الغداء.

الأعرابي: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته.

الحجاج: من هو؟

الأعرابي: الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصيام فأنا صائم.

الحجاج: تصومُ في مثل هذا اليوم على حره؟!

الأعرابي: صُمْتُ ليوم أشد منه حرًا- يوم القيامة-.

الحجاج: أفطر اليوم وصم غدًا.

الأعرابي: أوَ يضمن الأمير أن أعيش إلى الغد؟!

الحجاج: ليس ذلك إليَّ، فعِلْم ذلك عند الله.

الأعرابي: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟!

الحجاج: إنه طعام طيِّب.

الأعرابي: والله ما طيبه خبازك وطباخك ولكن طيبته العافية (التي وهبها الله).

الحجاج: بالله ما رأيت مثل هذا.. جزاك الله خيرًا أيها الأعرابي، وأمر له بجائزة.

التحرير

مطابع الأهرام التجارية ACP

إدارة التحرير	٨ شارع قولة عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام	WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني	MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير	GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات	ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ‖ ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي



الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين . مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش . السعودية ٦ ريالات . الإمارات ٦ دراهم . الكويت ٥٠٠ فلس. المغرب دولار أمريكي . الأردن ٥٠٠ فلس. قطر ٦ ريالات . عمان نصف ريال عماني . أمريكا دولاران . أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع



توجيه الأنظار إلى تزكية النفوس في رمضان

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ: فإن الناظر في أحوال الناس اليوم يجد إقبالاً على الشهوات، بل إن البعض اعتادها وألِفَها، حتى ولو لم يجد لها لذة، ويأتي الصيام ليحرِّك الإيمان في القلوب، ويحجز صاحبه- بفضل الله- عن الانغماس في الشهوات، والإقبال على رب الأرض والسماوات، فتزكو نفسه وتتحقق التقوى، كما قال رب العالمين: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣)، وبذلك تزكو النفس وتعلو، وتترفع عن المعاصي والذنوب التي تُدَنِّسُها، وهو أمرٌ مقصود من تشريع رب العالمين.

وقد أقسم الله بعدد من مخلوقاته الكبيرة الدالة على قدرته وعظمته في سورة الشمس، فقال سبحانه: « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » (الشمس: ١-٨)؛ ثم عقَّب على ذلك بذكر النفس المفلحة وغير المفلحة، فقال سبحانه: « قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » (الشمس: ٩- ١٠)، وهذا خبرٌ من الله تعالى بفلاح مَن زكَّى نفسه واعتنى بها وسعى في إلزامها بالحق والسير عليه، قال ابن سعدي في قوله تعالى: «قد أفلح من زكاها»: «أي طهَّر نفسه من الذنوب، ونقَّاها من العيوب، ورقَّاها بطاعة الله، وعلَّاها بالعلم النافع والعمل الصالح». (تيسير الكريم الرحمن ٦٣٣/٧).

والعبد يحتاج إلى تزكية نفسه بطاعة الله تعالى والإقبال عليه، والترفع عما يسخطه- جل في علاه- يقول ابن تيمية رحمه الله: «فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن إلى أن يربَّى بالأغذية المصلحة له، ولا بد مع ذلك من منع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره». (مجموع الفتاوى ٩٦/١٠).

وقد كان الأنبياء والمرسلون يهتمون بتزكية النفوس وتطهيرها من أدران الشرك والذنوب، وقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون ودعاه إلى تحقيق ذلك، فقال: « اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ » (النازعات: ١٧- ١٩)، والآيات تدل

على أن موسى عليه السلام طلب من فرعون أن يزكي نفسه، وذلك بترك الكفر الذي وقع فيه، والإقرار بالخالق المعبود. قال ابن جرير في معنى الآية: «هل لك إلى أن تتطهر من دَنَس الكفر وتؤمن بربك». ثم ساق بسنده إلى ابن زيد أنه قال: «هل لك إلى أن تُسْلم»، والتزكي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قولَ الله تعالى: «وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ» (طه:٧٦). قال: من أسلم. (انظر: تفسير الطبري ٢٥/٣٠).

وكانت تزكية النفوس من أولويات إنزال القرآن ودعوة النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك بالحرص على تعليم الأمة القرآن وتربيتهم على العمل به، وهذا من أعظم منّ الله على عباده، قال تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران:١٦٤)، قال ابن كثير: «ويزكيهم» أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ لتزكو نفوسهم وتَطْهُرَ من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم، «ويعلمهم الكتاب والحكمة» يعني: القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل، أي: من قبل هذا الرسول «لفي ضلال مبين» أي: لفي غيٍّ وجهل ظاهر. (تفسير ابن كثير ٥٨٢/١).

ويقول ابن القيم: «إن تزكية النفوس مُسَلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم، دعوةً وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم». (مدارج السالكين ٣٢٨/٢).

وتزكية النفوس يكون بالعلم النافع والعمل الصالح، مع تحقيق التوحيد ومراقبة علام الغيوب.

قال ابن تيمية في قوله تعالى: «وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ» (فصلت:٦، ٧): «وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وهو حقيقة لا إله إلا الله، وهذا أصل ما تزكو به النفوس، والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط، وأعظم القسط عبادةُ الله وحده لا شريك له». (مجموع الفتاوى ٩٧/١٠).

ويذكر ابن القيم أن التوحيد واثبات إلهية الله سبحانه أصل كل زكاة ونماء، والتزكية: جعل الشيء زكيًا، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه. (انظر إغاثة اللهفان ٥٦/١).

ويؤيد ذلك: حديث عَبْد الله بْن مُعَاوِيَة الْغَاضِرِيِّ- مِنْ غَاضِرَةِ قَيْس – قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم: «ثَلاَثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ؛ مَنْ عَبَدَ الله وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ». (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢٩٨/١).

وزاد الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في السنن: «وزكّى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله معه حيث كان».

قال الألباني: «هذا إسناد صحيح، وأخرجه البخاري في تاريخه». (السلسلة الصحيحة ٣٨/٣)، وقد ذكر الجزء الأخير من الحديث الذهبيُّ في كتابه العلو للعلي الغفار، وعقّب عليه بقول محمد بن يحيى الذهلي: «يريد أن الله علمه محيط بكل مكان، والله على العرش». (انظر مختصر العلو ص٢٠١).

قلتُ: هذا من فقهه رحمه الله وعنايته بأمور العقيدة، حتى لا تلتبس على الأمة، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على مَن سعى في تزكية نفسه وأشاد به، وذمَّ من استغنى عن الإيمان بالله، والتصديق بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر القرآن عن ابن أم مكتوم في قوله: «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ» (عبس:١-٦)، والآيات في جملتها ثناء على عبد الله بن أم مكتوم لحِرْصه على إتيان النبي صلى الله عليه وسلم ليَتلقى عنه

الإيمان، فتزكو نفسه وتتطهر، وهذا أمر واجب على كل مسلم، وقد أخبر القرآن الكريم أن العبد إذا زكَّى نفسه رجع ذلك عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ » (فاطر:١٨).

فاحرصوا عباد الله على نجاة أنفسكم بتزكيتها على الدوام، وخاصة في شهر رمضان، فهو شهر تزيد فيه الطاعات، وتتضاعف الحسنات، وتغفر الذنوب والسيئات، وها نحن نعيش أيامه ولياليه، وهو فرصة عظيمة لمن أراد تزكية نفسه، وقد تفضل الله فيه على عباده ففتح لهم أبواب الجنان، وأغلق أبواب النيران، وناداهم بالإقبال على الطاعة، وترك المعصية، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النيران فلم يُفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة ». (صحيح سنن الترمذي ٢٠٩/١).

وهذا الحديث يفتح أبواب الرجاء للطامعين في عفو رب العباد، وقد أعانهم الله على ذلك فحبَس عنهم عدوَّهم؛ لينشطوا في الخير، ويكفُّوا عن الشر، فتزكو نفوسهم وتتطهر بألوان الطاعات والعبادات.

وسائل تزكية النفس في رمضان:

ووسائل تزكية النفس في رمضان كثيرة، وسأشير هنا إلى أهمها، وقد سبق أن قلت: إن على رأس الأمور المزكية للنفس: إفراد الله بالعبادة وتحقيق التوحيد، فليكن هذا الأمر منك على ذِكْر لأهميته.

ويأتي بعد التوحيد: المحافظة والمسارعة إلى الإتيان بالفرائض، مع الإكثار من النوافل، وقد طلب رب العباد ذلك من عباده، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». (البخاري: ٦٥٠٢).

وظاهر الحديث أن الفرائض أحب الأعمال إلى الله، والإتيان بها مع كثرة النوافل ينال العبد بهما محبة الله، قال الفاكهاني: « معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى». (فتح الباري ٣٤٣/١١).

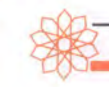
وتأتي على رأس الفرائض الصلاة، وهي خمس في الفعل وخمسون في الميزان- بفضل الله تعالى- وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى النوافل، وهي كثيرة، منها: ما يُعرف بالسنن الراتبة، وهي تابعة لبعض الصلوات، وفي شهر رمضان يُسنُّ قيام الليل، وهو وإن كان مشروعًا على مدار العام إلا أنه يتأكد في رمضان، وله مزية واعتبار؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». (متفق عليه).

ونحن الآن في شهر رمضان وقد فرض الله صيامه بنص القرآن، ورتَّب على ذلك الأجر العظيم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفرَ له ما تقدم من ذنبه».

والأعمال المشروعة في رمضان التي تتطهر بها النفس وتزكو كثيرة منها: قراءة القرآن وتدبره، والصدقة، والاعتكاف، ومخالفة النفس والهوى، ولزوم الاستغْفار، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

وختامًا أقول: تضرعوا إلى الله بهذا الدعاء، وهو من الأدعية النبوية: «اللهم آتِ نفس تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». (مسلم: ٢٧٢٢). أسأل الله تعالى أن يغفر لنا ما سلف وكان، وأن يرزقنا التقوى وزكاة النفس على الدوام.

والحمد لله رب العالمين.





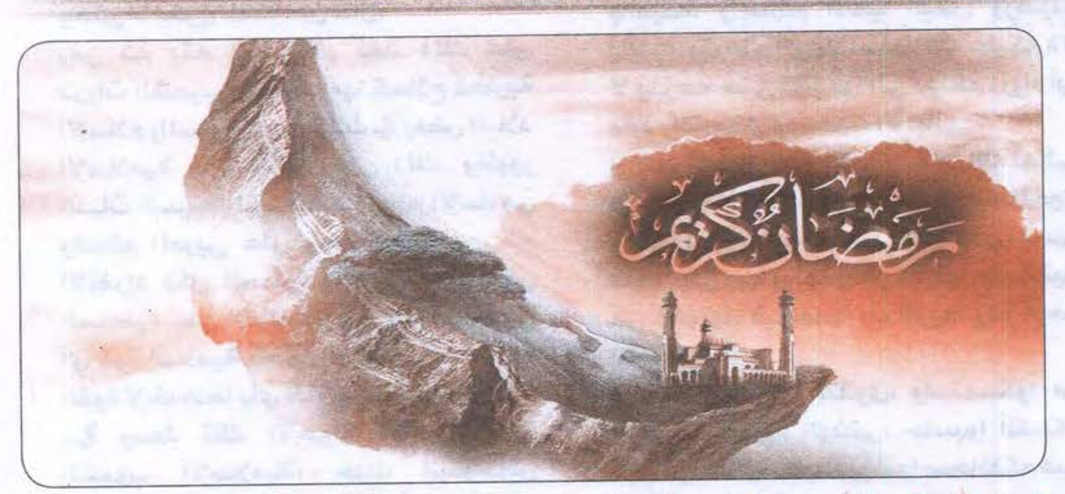


بقلم رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

شهر رمضان .. وأمة تكالبت عليها الأمم



الحمد لله الذي فاضل بين الأيام والشهور، وجعل شهر رمضان محلاً لأعظم العبادات، ومربحًا للأجور، وخصه بليلة هي خيرٌ من ألف شهر.

وبعدُ:

فبينما نستقبل شهرًا عظيمًا من أعظم الشهور فمازالت الأمة تعيش حالة الوهن، بين احتشاد الأعداء، وتفرق الأقرباء، واجتماع الأصدقاء، لينالوا من أمة كرَّمها ربُّ الأرض والسماء، اجتمعوا على الأمة كل يبحث عن مبتغاه ومصالحه، يتعاون الأعداء، ويختلف من كانوا بالأمس القريب حلفاء، تحركهم النزعة الاستعمارية الجديدة، فاستباحوا ديار المسلمين، وفتتوا الدول، وأحداث سوريا والعراق واليمن وليبيا وغيرها ما تزال ماثلة أمام أعين من عميت أبصارهم، وقست قلوبهم، وعدوانهم قبل ذلك.وبعده على الذين يحتجون احتجاجًا سلميًا في يوم العودة الشعبي، بمناسبة مرور ٧٠ عامًا على الاحتلال والاغتصاب اليهودي لفلسطين، أمام صمت العالم المتغافل، ومنظماته الدولية عديمة اللون والطعم والرائحة، مفتقدة الإنسانية والضمير الذي مات بلا رجعة، وحسبنا الله ونعم الوكيل!



شهر رمضان والاستعمار الدولي الجديد

يمر العالم الإسلامي بفترة من أحلك الفترات في تاريخه، وتعيش الأمة الإسلامية حقبة من أشد الحقب حرجًا في حياتها، من جراء ما ينزل به من شدائد ومحن، مع العمل على تقسيم العالم الإسلامي وإضعاف شأنه، وشُغل العالم الإسلامي بقضايا فرعية في كل بقعة من بقاع الأمة الإسلامية، من شأنها تمزيق وحدته، ونشر الكراهية بين جميع فئات المجتمع، حتى لا يكون للإسلام قوة، وحتى لا يكون للمسلمين شأن.

ومن ثَمَّ يتم الاستيلاء بعد ذلك على ثروات الشعوب واستخدامها كسلاح لمحاربة الإسلام والمسلمين، وما حدث في بعض البلاد الإسلامية خير شاهد على ذلك، وظهور النيات السيئة المبيَّتة ضد العالم الإسلامي والعالم العربي على وجه الخصوص، ثم الانفراد بكل السطوة والقوة حتى يمكن السيطرة على العالم أجمع، والقضاء على أي قوة إسلامية تحاول الظهور، واستخدام القوة لإخمادها بأيِّ حالٍ من الأحوال.

وفي وسط تلك الأحوال القاسية على الشعوب الإسلامية؛ حيث استوحاش الطريق، وملّ الرفيق، ورتابة الأيام، وتحمل الإنسان للآلام؛ كان لا بد للنفس من ظل تتفيؤه، لتستريح النفس وتتزود، فإن السفر طويل والزاد قليل، فامتن الله سبحانه على الأمة بشهر كريم، وموسم عظيم، يتزود فيه المسلم ويتقوى، ويترقى في مدارج التقوى، شهر يُبلُّ فيه عطش النفوس ويداوى جراحها، ويفيض على الأرواح من بركاته ما يكون به فلاحها، شهر ينتصر فيه العبد على شهواته وشيطانه، علّ القلوب تنبض، وتعلو الهمم، وتسمو الضمائر وتلتئم الجراح، تعرف حقيقة دوائها ثم تعالجه بالدواء الناجع؛ لأن معرفة الداء يستلزم البحث عن الدواء الصحيح ليحصل العباد على الشفاء والعافية.

إن تشخيص الداء جاء واضحًا في القرآن والسُّنَّة، قال الله تعالى: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ » (الشورى: ٣٠)، وقال تعالى: «أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ » (آل عمران: ١٦٥)، وقال سبحانه: « ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (الروم: ٤١)، وعن ابن عُمَرَ، قال: سمعْتُ رسُولَ اللَّه صلَّى اللَّهَ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يقُولُ: « إذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

إن شهر رمضان لهذه الأمة مِنَّة من الله تعالى؛ فهو ربيع قلوب المؤمنين، وسراج الصالحين، وأُنس المتقين، فيه تنتصر الأمة على نفسها، فتعود إلى ربها وتنهض من كبوتها، وتستفيق من غفوتها؛ فيرحمها رب كريم، وهو أرحم الراحمين.

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، حاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، وبيِّضوا صحائفكم قبل أن تعلق في الرقاب، وتشهد عليكم الجوارح والبقاع، فإن عليكم كرامًا كاتبين، والله تعالى أسرع الحاسبين، «وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (البقرة: ٢٨١).

رمضان وقضية المسلمين المنسية (فلسطين)

يهل علينا رمضان والشعب الفلسطيني يعيش منذ سبعة أسابيع في وقفات احتجاجية فيما يُعرف بيوم الأرض الفلسطيني، ومطالبتهم بحق العودة للاجئين من فلسطينيي الشتات من عام ١٩٤٨م، وفي كل جمعة يسقط المئات بين جريح وقتيل؛ حيث يستخدم اليهود ضدهم كل أساليب الردع بكل أنواع الأسلحة الحية والغازات الخانقة ضد المواطنين العُزَّل، لأن التقارير اليهودية ادعت أن الطائرات

الورقية التي يطلقها الأطفال الفلسطينيون كانت مُحمَّلة برؤوس نووية أو كيماوية!! ويقف المجتمع الدولي يشاهد في صمت وخزي وعار ما يحدث لآلاف الفلسطينيين العُزّل على طول الحدود الفاصلة مع غزة فيما عُرف بمجازر يوم الأرض.

إننا نعيش في الآونة الأخيرة مرحلة من أخطر المراحل التي لم نشاهد مثيلاً لها على مر العقود الأخيرة من ظهور النفاق، وارتفاع الأصوات التي تعادي شريعة الإسلام، وتنتهك القوانين الدولية، والأعراف العالمية، والحقوق السياسية، وتنتهك حقوق الإنسان، وحقوق الطفل والمرأة، ولم نر من رُعاتها ما كنا نعهده منهم، لو كان المعتدي مسلمًا أو عربيًا والمعتدى عليهم سواهم لقامت الدنيا ولم تقعد، ولصدرت القرارات وتحركت الأساطيل، وجُيِّشت الجيوش.

إن ما حدث ويحدث هو عارٌ على العالم بمنظماته وعهوده ومواثيقه، لقد تحالف خصوم الإسلام واستأسدوا، وتداعوا من كلِ حدب وصوب، حتى جثوا على الرُّكَب حماسة لنصرة الظالم ونصر الباطل، وكبت الحق وقهر المظلوم؛ مما يستدعي من المسلمين، وهم يعيشون هذا الشهر الكريم أن يسترجعوا ما هم فيه من ابتلاءات، فقد أوشكت دول كانت تُصَنَّف عسكريًا واقتصاديًا في مصاف الدول الخمس الأولى عالميًا، ولكنَّ الأعداء كادوا لهم حتى دمروا دولهم، ونهبوا ثرواتهم، وما حدث ويحدث على مرأى ومسمع من العالم كله من تشريد شعوب كانت آمنة مستقرة أصبحت لا تجد قوت يومها، مشردين في العراء يجوبون حدود الدول بين طارد لهم، وبين مُحسن بوجبة يقدمها لهم لكي تنقلها الفضائيات، والأمة الإسلامية ما زالت في طي الظلمات، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اشتداد البأس والنَّيل من المسلمين

ونحن نستقبل شهر رمضان، نستلهم منه العِبَر والعظات، وثمة أيام فاصلة في تاريخ المسلمين، لما انتصروا على شهوات نفوسهم نصرهم الله على مَن بَغَى عليهم، فكانت تلك الأيام فرقانًا لما بعدها، فهذه غزوة بدر الكبرى في رمضان، وهذا فتح مكة كذلك، وفتوح أخرى كالسِّند وأنطاكية وصقلية ومعركة عين جالوت، وآخرها استرداد مصر لأرض سيناء، كلها كانت في رمضان.

إن ما يحدث اليوم لتمزيق وحدة الأمة يدفعنا إلى التحرك السريع والمدروس لإعادة وتحقيق الوحدة للأمة الإسلامية عملاً لا شعارًا، ويدفعنا لتعبئة كلِّ الجهود لمواجهة الخطر الذي يُمزِّق أوصال أمتنا الإسلامية، ويهددنا جميعًا مع فتح كل الأبواب من أجل التقدم العلمي للنهوض بالأمة الإسلامية وفقًا لما نادى به ديننا الإسلامي، وما يتناسب مع تعاليم شرعنا الحنيف.

وإذا رجعنا لتاريخ أسلافنا، فإننا نجد الدولة الإسلامية قامت على أسس ومبادئ وقيم إسلامية، وعلى نبذ العصبية الجاهلية والعنصرية، وعندها ساد التآلف وتوحدت عناصر الأمة الإسلامية؛ ومثَّل ذلك نموذجًا في تأسيس الدولة الإسلامية في مدة زمنية محددة، وأما اليوم فإننا نحتاج إلى عمل دؤوب وجاد في جميع المجالات، لتقوية دعائم الأمة الإسلامية لمواجهة هذه الظروف وتلك التحديات التي تواجه الأمة اليوم، ولا بد من التكامل الفردي والجماعي بين الأفراد والجماعات في المجتمع المسلم حتى نلحق بالركب الحضاري، ويتحقق الهدف وتتحقق وحدة الأمة الإسلامية عملاً بقول الله تعالى: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (آل عمران: ١٠٣).

ولقد حافظ المسلمون الأوائل على هذه القوة، وعملوا على أن تكون الدولة الإسلامية هي الأقوى، وتلك هي القوة والإرادة لهؤلاء الرجال الذين صنعوا تاريخًا نفخر به، وجاء دور الخلفاء، فحافظوا على الدولة

الإسلامية، بل وزادوا في رفعتها وقوتها قوة فوق قوة، فكانت الفتوحات الإسلامية التي لم يَسْبق لها مثيل، ودانت الأرض من مشرقها إلى مغربها لدولة الإسلام، وسادت الهوية الإسلامية بما فيها من حضارة، وتأثرت بها الحضارات المجاورة، وإن التاريخ لخيرُ شاهد على ذلك.

ولقد حاولَ الغرب المستحدث طمس هويتنا الإسلامية بكل معالمها، ولكنه لن يستطيع؛ لأن أمة الإسلام قامت على أركان وأسس قوية منذ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة النبوية، ومرورًا بالدولة الإسلامية في بلاد الشام ودمشق، ثم بعد ذلك الدولة العباسية، حتى امتدت دولة الإسلام إلى مصر والمغرب العربي، ثم الغرب الأوروبي وجنوب فرنسا، ودولة الأندلس بكل حضارتها الإسلامية، والعالم كله يشهد بذلك المجد العريق.

وإن أمة الإسلام تحتاج اليوم إلى أن تتضافر الجهود؛ كلٌ في مكانه ومجاله، حكامًا ومحكومين، أفرادًا وجماعات، لإعادة هذا المجد المنشود، حتى يعلو شأن الأمة الإسلامية، ولسوف يكون ذلك بعون الله، فالله لا يرضى لأمة الإسلام المذلة، وإن غدًا لناظره قريب.

الأمة الإسلامية تحتاج إلى محاسبة النفس

إذا كان ذهاب الليالي والأيام ليس معناه لدى الغافلين اللاهين غير رحيل يوم ومجيء يوم آخر، فإنه عند أولي الأبصار باعث من بواعث الاعتبار، ومصدر متجدد من مصادر العظة والادِّكار، يصور ذلك ويبديه أبلغ بيان قولُ أبي الدرداء رضي الله عنه فيما رواه عنه الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك». (أخرجه البيهقي).

ويصوّره أيضًا قول بعض السلف: كيف يفرح بمرور الأعوام من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟!، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وحياته إلى موته. وقول بعضهم: من كانت الليالي مطاياه سارت به وإن لم يَسِرْ.

ولذا فإن المسلم يقف مع مرور الأيام وقفة مراجعة للذات ومحاسبة للنفس، بالوقوف منها موقف التاجر الأريب من تجارته، ألم تروا إليه كيف يجعل التاجر العاقل لنفسه زمنًا معلومًا ينظر فيه إلى مبلغ ربحه وخسارته، باحثًا عن الأسباب، متأملاً في الخطأ والصواب؟!

وإن سلوك المسلم الواعي هذا المسلك الرشيد ليربو في شرف مقاصده ونبل غاياته، وسمو أهدافه على ذلك، لأنه سعي إلى الحفاظ على المكاسب الحقة التي لا تبور تجارتها، ولا يكسد سوقها ولا تفنى أرباحها، من كنوز الأعمال وأرصدة الباقيات الصالحات التي جعل الله لها مكانًا عليًّا، ومقامًا كريمًا وفضلها على ما سواه، فقال سبحانه: «ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » (الكهف: ٤٦).

لذا كانت العناية بهذه المراجعة والحرص على تلك المحاسبة دأب أولي النهي، وديدن الأيقاظ، ونهج الراشدين، لا يشغلهم عنها لهو الحياة ولغوها وزخرفها وزينتها، وإذا هم يقطعون أصوات الحياة بحظ موفور من التوفيق في إدراك المُنى وبلوغ الآمال والظفر بالمقاصد والسلامة من العثار.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهَى فيه عن المنكر يا رب العالمين.

وفي ختام هذا المقال؛ نتقدم بخالص التهنئة للشعب المصري وشعوب الأمة العربية والإسلامية بحلول شهر رمضان الكريم، أعاده الله علينا جميعًا بالخير والبركات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تَرْبِيَةُ الصَّائِمِينَ

عَلَى اسْتِشْعَارِ مَعِيَّةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عزوجل: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».(مسلم: ١١٥١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «الصَّوْمُ هُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لاَ يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا إِيثَارًا لِمَحَبَّةِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَالْعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُفَطِّرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ.

وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣). (زاد المعاد (٢/٢٧و٢٨)).

فَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ الصِّيَامِ الْكُبْرَى وَحِكْمَتُهُ الْعُلْيَا، وَهُوَ أَنَّهُ يُعِدُّ نَفْسَ الصَّائِمِ لِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى بِتَرْكِ شَهَوَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ الْمُبَاحَةِ الْمَيْسُورَةِ امْتِثَالاً لأَمْرِهِ وَاحْتِسَابًا لِلأَجْرِ عِنْدَهُ، فَتَتَرَبَّى بِذَلِكَ إِرَادَتُهُ عَلَى مَلَكَةِ تَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَالصَّبْرِ عَنْهَا فَيَكُونُ اجْتِنَابُهَا أَيْسَرَ



عَلَيْه، وَتَقْوَى عَلَى النُّهُوضِ بِالطَّاعَاتِ وَالْمَصَالِحِ وَالاصْطِبَارِ عَلَيْهَا فَيَكُونُ الثَّبَاتُ عَلَيْهَا أَهْوَنَ عَلَيْه، فَلَيْسَ الصِّيَامُ فِي الإِسْلَامِ لِتَعْذِيبِ النَّفْسِ لِذَاتِه بَلْ لِتَرْبِيَتِهَا وَتَزْكِيَتِهَا.

وَإِعْدَادُ الصِّيَامِ نُفُوسَ الصَّائِمِينَ لِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَعْظَمُهَا شَأْنًا، وَأَنْصَعُهَا بُرْهَانًا وَأَظْهَرُهَا أَثَرًا، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا- شَرَفًا- أَنَّهُ أَمْرٌ مَوْكُولٌ إِلَى نَفْسِ الصَّائِمِ لَا رَقِيبَ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، وَسِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ شَهَوَاتِهِ وَلَذَّاتِهِ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ فِي عَامَّةِ الأَوْقَاتِ لِمُجَرَّدِ الامْتِثَالِ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَالْخُضُوعِ لِإِرْشَادِ دِينِهِ مُدَّةَ شَهْرٍ كَامِلٍ فِي السَّنَةِ، مُلَاحِظًا عِنْدَ عُرُوضِ كُلِّ رَغْبَةٍ لَهُ- مِنْ أَكْلٍ نَفِيسٍ، وَشَرَابٍ عَذْبٍ، وَفَاكِهَةٍ يَانِعَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ كَزِينَةِ زَوْجَةٍ أَوْ جَمَالِهَا الدَّاعِي إِلَى مُلَابَسَتِهَا- أَنَّهُ لَوْلَا اطِّلَاعُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمُرَاقَبَتُهُ لَهُ لَمَا صَبَرَ عَنْ تَنَاوُلِهَا وَهُوَ فِي أَشَدِّ التَّوْقِ لَهَا، لَا جَرَمَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ تَكْرَارِ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةِ الْمُصَاحِبَةِ لِلْعَمَلِ مَلَكَةُ الْمُرَاقَبَةِ للهِ تَعَالَى وَالْحَيَاءِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ، وَفِي هَذِهِ الْمُرَاقَبَةِ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى وَالاسْتِغْرَاقِ فِي تَعْظِيمِهِ وَتَقْدِيسِهِ أَكْبَرُ مُعِدٍّ لِلنُّفُوسِ وَمُؤَهِّلٍ لَهَا لِضَبْطِ النَّفْسِ وَنَزَاهَتِهَا فِي الدُّنْيَا، وَلِسَعَادَتِهَا فِي الآخِرَةِ. (تفسير المنار (٢/١١٦)).

وَهَذَا مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ(خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ)، فَالصَّائِمُ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ- وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ- مِنْ أَجْلِ اللهِ، الَّذِي آمَنَ بِأَنَّهُ مَعَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (الحديد: ٤)، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى (خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ)، مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ» (ق: ٢١- ٢٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ» أَيْ مَنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ: يَخَافُونَهُ إِذَا غَابُوا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ كَخَوْفِهِمْ لَهُ إِذَا كَانُوا بَيْنَ النَّاسِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ يَعْنِي فِي الْخَلْوَةِ حِينَ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا أَرْخَى السِّتْرَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ. كَمَا فَعَلَ يُوسُفُ عليه السلام: «وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» (يُوسُف: ٢٣).

وَقَيَّدَ الْخَشْيَةَ بِالْغَيْبِ لِأَنَّهَا الْمُعَوَّلُ عَلَيْهَا، دُونَ خَشْيَةِ الشَّهَادَةِ وَالْعَلَانِيَةِ، لِأَنَّ خَشْيَةَ الْعَلَانِيَةِ دُونَ خَشْيَةِ الْغَيْبِ نِفَاقٌ وَرِيَاءٌ، تُحْبِطُ الأَعْمَالَ، وَتُبْطِلُ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا» (النساء: ١٠٨)

قَالَ السَّعْدِيُّ: وَهَذَا مِنْ ضَعْفِ الإِيمَانِ، وَنُقْصَانِ الْيَقِينِ، أَنْ تَكُونَ مَخَافَةُ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ، فَيَحْرِصُونَ بِالطُّرُقِ الْمُبَاحَةِ وَالْمُحَرَّمَةِ عَلَى عَدَمِ الْفَضِيحَةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ بَارَزُوا اللهَ بِالْعَظَائِمِ، وَلَمْ يُبَالُوا بِنَظَرِهِ إِلَيْهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَعَهُمْ، عَالِمٌ بِهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافٍ مِنْ سِرِّهِمْ. (تيسير الكريم الرحمن (٢/١٥٤)).

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَكَفَى بِهَذِهِ الآيَةِ نَاعِيَةً عَلَى النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ وَالْخَشْيَةِ مِنْ رَبِّهِمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ- إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ- أَنَّهُمْ فِي حَضْرَتِهِ، لَا سُتْرَةَ، وَلَا غَفْلَةَ، وَلَا غَيْبَةَ، وَلَيْسَ إِلَّا الْكَشْفُ الصَّرِيحُ وَالافْتِضَاحُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا. (الكشاف (١/١٩٧)).

قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ الإِلَهِ الْحَقِّ، الْمُجَازِي بِذَرَّاتِ الأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، وَلَا يَضِيعُ عِنْدَهُ عَمَلُ عَامِلٍ، وَلَا يَنْفَعُ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَابٌ وَلَا اسْتِتَارٌ،

فالسَّعيدُ مَنْ أصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، فإنَّ مَنْ أصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله أصْلَحَ الله مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَمَنِ الْتَمَسَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِسَخَطِ الله عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا لَهُ.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا الله عزَّوجلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا! جَلِّهِمْ لَنَا! أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ! قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا». (صحيح سنن ابن ماجه:٣٤٢٣).

وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» (صحيح سنن النسائي١٣٠٤و١٣٠٥).

وَكَانَ يُوصِي بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ». (صحيح الترمذي١٩٨٧)، أَيْ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، حَيْثُ يَرَاكَ النَّاسُ وَحَيْثُ لاَ يَرَوْنَكَ.

وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الْمُوجِبُ لِخَشْيَةِ الله فِي السِّرِّ. فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ الله يَرَاهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَرْكَ الْمَعَاصِي فِي السِّرِّ. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى الإِشَارَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِ الله تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

وَسُئِلَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ الله: بِمَ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ فَقَالَ: بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ الله إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى مَنْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا.

قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (المجادلة: ٧).

وَكَانَ السَّلَفُ رحمهم الله يَتَوَاصَوْنَ بِمَا وَصَّاهُمْ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: زَهَّدَنَا الله وَإِيَّاكُمْ فِي الْحَرَامِ، زُهْدَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ فِي الْخَلْوَةِ فَعَلِمَ أَنَّ الله يَرَاهُ، فَتَرَكَهُ مِنْ خَشْيَةِ الله.

وَكَتَبَ ابْنُ السَّمَّاكِ رَحِمَهُ الله الْوَاعِظُ إِلَى أَخٍ لَهُ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ؛ أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله الَّذِي هُوَ نَجِيُّكَ فِي سَرِيرَتِكَ، وَرَقِيبُكَ فِي عَلاَنِيَتِكَ، فَاجْعَلِ الله مِنْ بَالِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَخَفِ الله عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِعَيْنِهِ، لَيْسَ تَخْرُجُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى سُلْطَانِ غَيْرِهِ، وَلاَ مِنْ مُلْكِهِ إِلَى مُلْكِ غَيْرِهِ، فَلْيَعْظُمْ مِنْهُ حَذَرُكَ، وَلْيَكْثُرْ مِنْهُ وَجَلُكَ. وَالسَّلاَمُ. (جامع العلوم والحكم(١٤٠و١٤١)).

وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ يُرَبُّونَ صِبْيَانَهُمْ عَلَى اسْتِشْعَارِ مَعِيَّةِ الله تعالى؛ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا ابْنُ ثَلاَثِ سِنِينَ أَقُومُ بِاللَّيْلِ فَأَنْظُرُ إِلَى صَلاَةِ خَالِي مُحَمَّدِ بْنِ سَوَّارٍ، فَقَالَ لِي يَوْمًا: أَلاَ تَذْكُرُ الله الَّذِي خَلَقَكَ! فَقُلْتُ وَكَيْفَ أَذْكُرُهُ؟ قَالَ: قُلْ بِقَلْبِكَ عِنْدَ تَقَلُّبِكَ فِي ثِيَابِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحَرِّكَ بِهِ لِسَانَكَ: الله مَعِي، الله نَاظِرٌ إِلَيَّ، الله شَاهِدِي، فَقُلْتُ ذَلِكَ لَيَالِيَ ثُمَّ أَعْلَمْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقُلْتُ ذَلِكَ لَيَالِيَ ثُمَّ أَعْلَمْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِحْدَى عَشْرَ مَرَّةً، فَقُلْتُهُ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي حَلاَوَتُهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ قَالَ لِي خَالِي: احْفَظْ مَا عَلَّمْتُكَ، وَدُمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ الْقَبْرَ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ، فَوَجَدْتُ لِذَلِكَ حَلاَوَةً فِي سِرِّي، ثُمَّ قَالَ لِي خَالِي يَوْمًا: يَا سَهْلُ: مَنْ كَانَ الله مَعَهُ، وَنَاظِرًا إِلَيْهِ، وَشَاهِدَهُ، أَيَعْصِيهِ؟ إِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ. (إحياء علوم الدين(٣/٧٤)).

فَنَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا خَشْيَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، وَالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، ويرزقنا الإنابة إليه. والحمد لله رب العالمين.



ليلة القدر خير من ألف شهر

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي قال في كتابه الكريم: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا» (الفرقان: ١ - ٢). وبعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى اختار الله الأمة واصطفاها، واختار الله النبي واجتباه وأنزل عليه الكتاب هدى ورحمة للعالمين، واختار الشهر الذي بدأ فيه نزول الكتاب واختار الليلة واصطفاها لبدء اتصال الرسول الملائكي بالرسول البشري، وسماها ليلة القدر، وجعلها خير الليالي، وأنزل في شرفها سورة سماها باسمها، وقال سبحانه عنها: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر:٣).

أولا: أقوال المفسرين في معاني الآية الكريمة:

١- وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر:٣): بين سبحانه فضلها وعظمها، وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وقال كثير من المفسرين: أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، والله أعلم. وقيل: عَنَى بألف شهر جميع الدهر لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء، كما قال الله تعالى: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ» (البقرة:٩٦) يعني: جميع الدهر. اهـ.

٢- قال ابن عثيمين رحمه الله في تفسير قوله سبحانه: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» (القدر:٢): فهذه الصيغة تعني التفخيم والتعظيم، فكان الجواب: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر:٣)، وهذه الجملة كالجواب للاستفهام الذي سبقها: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» (القدر:٢)؟ أي خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنا ثواب العمل فيها، وما ينزل الله فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ولذلك كان من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه. اهـ.

- فهي الليلة المباركة والتي تمتد بركتها، قال الله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (الدخان:٣-٦).

- وتستمد هذه الليلة بركتها من ابتداء نزول القرآن الكريم فيها واستمراره بعد ذلك على مدى سنوات النبوة، والتي امتدت على مدار ثلاثة وعشرين عامًا في الفترتين المكية والمدنية حتى التحق النبي صلى الله عليه

وسلم بالرفيق الأعلى.

- ولما كان القرآن كتاب هداية ورحمة فإن بركة هذه الليلة ممتدة مادام القرآن يُتلى وينتفع ببركته مَن وفقه الله.

- ولذلك جعل الله بركة هذه الليلة تتكرر مع كل رمضان، بل جعل فضل رمضان وشرفه بسبب هذه الليلة، فقال سبحانه: « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ » (البقرة:١٨٥)، فتكريم رمضان وفرض الصيام فيه بسبب نزول القرآن، والذي بدأ نزوله في هذه الليلة العظيمة المباركة.

- ونزول الروح وهو جبريل عليه السلام يذكر بنزوله في أول مرة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكيف نزل به من عند الله وبأمره على هذا النبي الذي اصطفاه الله لإخراج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، فالقرآن هو النور المبين والصراط المستقيم الذي نزل به جبريل من رب العالمين على النبي الأمي الكريم، ولم يأت به محمد من عند نفسه.

- وإنزال القرآن نعمة عظيمة لا تُدانيها نعمة، قال الله تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (العنكبوت:٥١).

- ومن بركات هذه الليلة أن جعل الله الأعمال الصالحة تتضاعف في هذه الليلة أضعافًا مضاعفة، فكما كان فضل هذه الليلة فيما سبق أن جعلها الله ظرفًا لنزول القرآن فيها؛ فخيرها ممتد بفضل الله إلى ما شاء الله بمضاعفة الأعمال الصالحة فيها فضلاً من الله ونعمة.

ثانيا: واجب المسلم تجاه هذه الليلة:

لا شك أن أول واجب على المسلم أن يَعرف شرفها ومكانتها الممتدة بسبب نزول القرآن فيها وبذكر فضل الله على هذه الأمة باصطفائها لميراث دينه وكتابه، قال الله تعالى: « وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » (فاطر: ٣١-٣٢).

ثم يغتنم فضل هذه الليلة، ويتعرض لنفحات الله فيها بالمسارعة في الخيرات وترك المنكرات والإحسان في عبادة الله وفي المعاملة مع عباده والترقي في درجات الإحسان ويتدرج في العلوم والسمو من الظالم لنفسه إلى المقتصد إلى السابق بالخيرات بإذن الله ويغتنم بركة هذه الليلة وخيرها فمن حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ.

وأفضل ما يتمكن به المسلم من الاستفادة من هذه الليلة هو التأسي برسول الله في التعامل مع هذه الليلة، وسنذكر طرفًا من ذلك يكون هاديًا ودليلاً بإذن الله.

ثالثا: هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر:

وينقسم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتحري ليلة القدر وإحيائها إلى قسمين:

أ- قسم رغَّب في قيامها وبيَّن فضلها وفضل الدعاء فيها.

ب- وقسم عملي فعله النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ولأهله.

ومما جاء في الترغيب في إحياء هذه الليلة العظيمة ما يلي:

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه ».

وروى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه

ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم».

وكما حث على القيام فيها، والإخلاص في العبادة حث على الدعاء؛ فهي ليلة يرجى إجابة الدعاء فيها، روى أحمد وابن ماجه والترمذي وغيرهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: "اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني". رواه الترمذي وصححه ورواه غيره.

وكان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يدعو بهذا الدعاء ويقول: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي». (رواه أبو داود).

والمقصود إكثار الدعاء والأعمال والأقوال المندوبة في هذه الليلة لرجاء قبولها؛ فيدعو المسلم بما يحفظ من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، ويحرص المسلم على طهارة قلبه من النفاق، وأعماله من الرياء، ولسانه من الكذب؛ فهذه من أسباب النجاة، ومنها أيضًا بل من أهمها تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والحرص على الحلال في المطعم والمشرب، ويتجنب أسباب الهلاك، ومنها شح مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

أما عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تحرّي ليلة القدر وإحيائها؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هذه الليلة؛ حتى اعتكف رمضان كله ليتحراها، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ هنا لمسلم: عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنَوْا مِنْهُ، فَقَالَ: إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ. فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ. قَالَ: وَإِنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ، فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ.

والأحاديث كثيرة والبحوث طويلة في هذه الليلة، والخلاصة فيما يلي- والله أعلم-:

١- استقر الأمر على أن هذه الليلة في العشر الأواخر، وفي الوتر منها كما في الصحيح.

٢- قال بعض أهل العلم أنها تنتقل في الليالي الوترية في العشر الأواخر، وهذا قول معتبر قال به جمع من علماء السلف والخلف، وهناك من يرى أنها لا تتنقل، والله أعلم.

٣- رأى بعض أهل العلم أن الحكمة في إخفائها؛ وقد أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنسيها، وذكروا الحكمة في ذلك أن يجتهد المسلم في العشر كلها، بل في رمضان كله، وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها». رواه مسلم.

وقالت رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر. والحديث متفق على صحته.

فمن أراد أن يدرك ليلة القدر وفضلها فليتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم، رزقنا الله وإياكم شرف هذه الليلة، آمين، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(الفوائد الصحية للصيام)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الصيام عبادة لله عز وجل، وغايته تحقيق التقوى، وله من الفوائد الطبية ما يظهر عظمة التشريع الإسلامي، وحكمته ونفعه للعباد في الدنيا والآخرة.

ومن فوائد الصيام الصحية:

تحسين أداء الجهاز المناعي:

يقوي الصيام جهاز المناعة الذي يقي بدوره الجسم من الأمراض المعدية والأورام، فتنشط الخلايا الليمفاوية، ويرتفع مستوى الأجسام المضادة، وتقوى الردود المناعية.

فوائد للقلب والجهاز الدوري:

يخفف العبء على القلب بتقليل كمية الدم الذي يضخه إلى الجهاز الهضمي، وفي الصيام حماية للشرايين من خطر الانسداد، ومع هدوء الصيام وسكينته يقل إفراز الهرمونات المحفزة مثل الأدرينالين فتهدأ ضربات القلب، ويقل التعرض لنوبات عدم انتظام ضربات القلب.

إعداد د. أسامة صابر

فوائد الصيام للجهاز الهضمي:

يمنح الصيام راحة كافية للجهاز الهضمي يتخفف فيها من أعباء الهضم والامتصاص وإفراز العصارات الهاضمة، ويريح البنكرياس ويوفر إفراز الأنسولين، ويقلل من احتمال الإصابة بمرض السكري.

تجدد الخلايا التالفة:

الصيام يساعد في تجدد الخلايا التالفة، والميتة من خلال إحداث تغيير في محتوى الأحماض الأمينية بالكبد وهي البنية الأساسية لبناء الخلايا.

مقاومة الشيخوخة:

يزيد الصيام من حيوية ونشاط الخلايا؛ كما يساعد في تقليل تراكم السموم الناتجة عن عملية التمثيل الغذائي والهضم، ويحد الصيام من عملية الأكسدة والجزيئات الحرة التي تتفاعل مع البروتينات والأحماض النووية وتضر بالخلايا.

فقدان الوزن:

فالصيام يمتد من الفجر إلى غروب الشمس، مما يؤدي إلى استهلاك الدهون كمصدر للطاقة، ويترتب على ذلك نقص الوزن وخفض معدل الكوليسترول وزيادة التحكم في السكري وضغط الدم.

الصحة النفسية:

يزيد الصيام من التركيز وتوقد الذهن واستنباط الأفكار ويصرف عن النزوات وأمراض النفس كالحسد والخوف والاكتئاب وحب التسلط والشعور بالملل.

الصيام حماية من أمراض عديدة منها:

الحصوات، والزوائد اللحمية والأكياس الدهنية، والأورام، والنقرس وآلام المفاصل، والصداع النصفي والبدانة، ويساعد على الشفاء من الصدفية والالتهابات، ويعدل الصيام من ارتفاع حموضية المعدة مما يفيد مرضى قرحة المعدة والارتجاع المعدي المريئي.

الصيام يساعد على علاج الإدمان، وهو بهذا فرصة عظيمة للإقلاع عن التدخين.

من إعجاز الطب النبوي: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال، وقد أثبت الطب الحديث أن فوائد الصيام مترتبة على مدته المناسبة، وهي من ١٢ إلى ١٨ ساعة، أما إن طالت المدة فإن البروتينات تبدأ في التحلل لتوفير مصدر الطاقة، ويتعرض الجسم للجفاف، وتتأثر وظائفه الحيوية.

فوائد الإفطار على رطب أو تمر:

وهو من الهدي النبوي وفيه مزية للصائم بحصوله على قدر من السكر يصل إلى الدم بسرعة فيمده بالطاقة ويشعره بالشبع، ويقلل من احتياجه للطعام عند الإفطار.

هؤلاء يُنصحون بالفطر:

من رحمة الله عز وجل أن رخَّص للمريض في الفطر فقال تعالى: «ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر»، ولذا ينصح بمراجعة الطبيب المختص والذي قد يوصي بالفطر في الحالات الآتية:

مرضى الهزال وسوء التغذية. قصور الكبد الشديد والفشل الكلوي. حدوث أعراض انخفاض مستوى السكر عند مرضى الداء السكري. بعض حالات اضطراب ضربات القلب. بعض حالات الحمل. بعض حالات حصوات الكلى خاصة في البلاد الحارة. المرضى الذين يعانون من تخثر بالدم. المرضى الذين يعانون من تأرجح كبير وسرعة تغير في نسبة الجلوكوز بالدم. الأطفال المصابون بمرض السكري. مرضى السكري الذين يعانون من مضاعفات خطيرة مثل الفشل الكلوي، والذبحة الصدرية، وتسمم الدم وفشل القلب الاحتقاني.

ملحوظة: أغلب مرضى السكري يستطيعون الصيام وينتفعون به صحيًا بشرط ضبط الغذاء والدواء.

نصائح طبية:

- احرص على أن يكون غذاؤك متوازنًا تتوفر فيه النشويات والبروتينات والفيتامينات والألياف الغذائية.

- تجنب الإسراف في الطعام «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١).

- تعجيل الفطر وتأخير السحور والاقتصار عليهما، وترك عادة الأكل طوال الليل.

- تجنب الإكثار من الحلوى واستبدل بها الفواكه الطازجة.

- تجنب الأطعمة المقلية والغنية بالدهون المشبعة.

- لا تسرف في المشروبات التي تحتوي على الكافيين مثل القهوة والشاي والكولا؛ فهي مدرة للبول، وتساعد على فقدان الماء والسوائل من الجسم.

- شرب كميات مناسبة من الماء على فترات متفرقة، وتجنّب شرب الماء المثلج عند الإفطار، ولا تكثر من شرب الماء في السحور؛ لأنه لن يقلل العطش؛ إذ سرعان ما تتخلص الكلى من الماء الزائد.

- الإقلال من الملح والمخللات والبهارات.

- تجنب النوم بعد الإفطار فهو مُضر للبدن، وقد يضيع عليك صلاة المغرب والعشاء والقيام.

- الحركة والنشاط وأخذ قسط من نوم الليل.

نسأل الله القبول والعافية، والحمد لله رب العالمين.



الإيمان والقرآن.. نور على نور

إعداد / د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن حبيب الأمة شهر رمضان المبارك شهر جعله الله علمًا على الطاعات ومناخًا تزيد فيه القربات، وكان على رأس ذلك ما افترضه الله من الصيام وما يتسنن به عباد الله من القرآن والقيام، ثم الصدقات وسائر العبادات وكلها شعب من شعب الإيمان التي يزيد بالطاعات وينقص بالمحرمات، وفي هذه البيئة الطيبة بيئة سيد الشهور في الدهور نتناول قضية من أهم القضايا وأولاها ومن أصول التربية وأعلاها؛ أعني قضية تعلم الإيمان قبل القرآن، ثم ثمرة ذلك عندما يأتي بعده القرآن وتعلم الإيمان قبل القرآن منهج نبوي ومسلك تربوي في تربية الجيل الأول الذي حقق للأمة مجدها وسطر لها تاريخها وقبل ذلك سبب لسعادة العبد في الدارين؛ وكان ذلك بعضًا مما يستفاد من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهم

أولا: المتن:

قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ؛ حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ؛ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ. كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَه عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُمَّ أَخَذَ حَصَىً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ. لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا".

ثانيا: تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في "كتاب الرقاق" "باب رفع الأمانة" حديث (٦٤٩٧)، وأخرجه مسلم حديث (١٤٣)، وأخرجه الترمذي في "كتاب الفتن" "باب ما جاء في رفع الأمانة" حديث (٢١٧٩)، وأخرجه ابن ماجه في "كتاب الفتن" "باب ذهاب الأمانة" حديث (٤٠٥٣).

ثالثا: شرح ألفاظ الحديث:

قوله: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ): معناه حدثنا في الأمانة حديثين وهما المذكوران في هذا السياق والمراد قوله: "الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ"، وبالثاني قوله: "ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ... إلى آخره"، وإلا فإن حذيفة رضي الله عنه روى كثيرا من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما. (انظر شرح النووي لمسلم ٣٤٧/٢، بتصرف يسير).

قوله: (أَنَّ الأَمَانَةَ): الأمانة هي كل أوامر الشرع ونواهيه؛ كما قال تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا »

(الأحزاب: ٧٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤٨٩/٦)- بعدما ذكر مجموعة من أقوال علماء السلف في تفسير لفظ " الأمانة "-:

" وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها: التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان " انتهى من "تفسير ابن كثير".

وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى كذلك في تفسيره (٢٠٤/١٩ - ٢٠٥) قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنيَ بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس. وذلك أن الله لم يَخُصَّ بقوله (عَرَضْنَا الأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا " انتهى من " تفسير الطبري".

ونقل القرطبي رحمه الله تعالى كذلك نفس المعنى وعزاه إلى الجمهور في " تفسير القرطبي " (٢٤٤/١٧): "والأمانة تعمّ جميع وظائف الدّين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور". وهذا هو معناها الواسع المراد. والله أعلم.

قوله: (ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ): المراد من رفع الأمانة ذهابها، أو ذهاب أهلها حتى يكون الأمين في حكم النادر كما أشار إلى هذا في سياق الحديث.

قوله: (يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ): أي: تنزع في حال غفلة وضعف في الإيمان، أو يحمل على ظاهره فيكون المقصود سرعة رفع الأمانة من القلب أثناء النوم في ليل أو نهار.

قوله: (فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ): الوكت: هو الأثر اليسير، والمعنى أن الأمانة تذهب حتى ما يبقى منها إلا اليسير.

قوله: (فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ): و(الْمَجْل): ارتفاع في الجلد يظهر في اليد من العمل بفأس ونحوه، ويصير مثل القبة ويمتلئ ماء.

قوله: (فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً): أي انتضح، وانْتَبَرَ الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء، والمقصود من هذه التشبيهات بيان تدرج ذهاب الأمانة شيئاً فشيئاً.

قوله: (فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ): أي يبيعون ويشترون، وهنا اختار حذيفة رضي الله عنه فرعًا من أفرع الأمانة، وهو أمانة المعاملات كمثال على الأمانة وإلا فالأمانة هي المفهوم الشامل الذي تقدم.

(لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ): فيه بيان لغياب الأمانة.

قوله: حتى يقول الناس إن في بني فلان رجلاً أمينًا: وذلك لندرة الأمناء.

(مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ): (مَا أَجْلَدَهُ) أي: ما أقواه، (مَا أَظْرَفَهُ) أي ما أحسن وجهه وهيئته ولسانه، (مَا أَعْقَلَهُ) أي: ما أقوى عقله وذهنه وتفكيره وتمييزه بين الحسن والقبيح.

(وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ): المراد: المبالغة في الصغر أي حتى الذي اختاروه هذا معتقدين أمانته ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فلم تتحقق الأمانة.

(وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ): يقصد به زمن الصدر الأول في الإسلام حين كانت الأمانة مستقرة في القلوب، فالمؤمن يدفعه إيمانه لدفعها، والنصراني أو اليهودي يدفعه من يتولاه ومبادئه.

(لا أبالي أيكم بايعت): أنني في ذلك الزمن لا أبالي في مبايعتي لأحد بيعي وشرائي لاستقرار الأمانة.

(وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا): أي وأما الآن فإنني لا أثق إلا في قلة من الناس، وحذيفة رضي الله عنه توفي سنة (٣٦) من الهجرة، فما بالنا لو أدركنا حذيفة؟! فإلى الله المشتكى، وهو المستعان. (ينظر شرح الحديث: شرح النووي على مسلم، إبهاج المسلم بشرح صحيح مسلم (كتاب الإيمان) للدكتور عبدالله الفريح).

مما يُستفاد من الحديث:

أولاً: تعهد العبد لإيمانه وخوفه على نفسه من الشر:

وذلك من وقفتنا مع سلوك راوي الحديث ومنهجه التربوي؛ إذ أن حذيفة رضي الله عنه هو أمين سر رسول الله وهو الخبير بأمر الفتن كذلك؛ وذلك أن منهج تعهده لنفسه، وإيمانه كان مبنيًّا على الحذر من الشر؛ إذ قال رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.. الحديث) (رواه البخاري في كتاب الفتن)؛ فمعرفة الشر لتوقيه منهج إيماني سلفي كان الصحابة يتبنونه، انتهى (ينظر سير أعلام النبلاء ج٢/ص٣٦١).

ثم هو بعد ذلك يخاف على نفسه فيتعهد إيمانه!

وهذا المنهج لم يكن من نصيب حذيفة فحسب، بل هو منهج منتشر بين أفضل جيل عرفته البشرية، ومن ذلك ما صح من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما أدراك ما عمر؟! وهو يسأل حذيفة ويستحلفه: أوسماني رسول الله من المنافقين؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسَرَّ لحذيفة بأسماء المنافقين، فمن عمر الذي يخشى على نفسه النفاق؟!

بل وقد طال هذا المنهج- أعني منهج تعهد الإيمان واتهام النفس- طال أفضل الأمة بعد نبيها، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء، ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ خليفة رسول الله المبشر بأبواب الجنة جميعا، طال أبا بكر ومعه كاتب الوحي حنظلة بن الربيع رضي الله عنهما؛ ففي صحيح مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة (٢٧٥٠)؛ عن حنظلة رضي الله عنه قال: "لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلتُ: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث) انطلقا يشكيان أنفسهما إلى رسول الله، فليكن لنا في سلفنا خير أسوة في خير شهر.

الفائدة الثانية: تعلم الإيمان قبل القرآن وفرصته الكبرى في شهر رمضان

رمضان شهر القرآن وذلك صار كالمعلوم بالضرورة شهرة بين العباد، لكننا نتمنى على الله أن يكون القرآن لنا هذا العام نور على نور كما كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

إذ في تفسير قوله تعالى: «نور على نور» قال ابن كثير رحمه الله: "كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه" وهو ما حكى معناه غير واحد من السلف في تفسير قوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء» وفي وقوله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»، قال بعضهم: فضل الله الإيمان، ورحمته القرآن.

ثم يتضح هذا المنهج جليًّا مما تظاهرت معانيه عن غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن أصحابه؛ إذ كانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن، ويقرءون القرآن بمنهج زيادة الإيمان.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: " لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يُؤْتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أنِ يقف عنده منها، ثم لقد رأيتُ اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمرُه ولا زاجرُه، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل" يعني التمر الرديء" (رواه البيهقي: ٥٠٧٣).

والحمد لله رب العالمين

حُسن الخُلق مع الصائمين في رمضان

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فحُسن الخلق بكل تأكيد يتمنى أن يكون عليه الموافق والمخالف، ومَن منا لا يحب أن يكون على خلق حَسَن؟!

فـ«الخُلق» كلمة تطلق في اللغة على الخُلق الحسن، أما السيئ منها فتكون مقيدة، كقوله: «خُلق سيئ».

والخُلق: هو ذاك الطابع الذي يخرج من الإنسان عندما يتعرض لإخراجه دون أن يفكر: هل يُخرجه أم لا؟!

فإذا تعرض الإنسان إلى أن يكون كريمًا، وأخذ يفكر في هذا، فلا يكون في أصله الكرم.

ومعلوم أن الخلق وسط بين رذيلتين، فالكرم وسط بين البخل والإسراف، وكذلك الشجاعة وسط بين الخوف والجبن وبين التهور، وهكذا في كل الأخلاق.

ومعلوم أيضًا أن الأخلاق خامس خمسة الثوابت لهذا الدين. (الأصول العقائدية والفرائض الركنية والأحكام القطعية، والمقاصد الكلية، والأخلاق المحمدية).

وأطلق العلماء سلفًا كلمة «المحمدية» على الأخلاق مع أننا نجد الأخلاق موجودة في سيرة من كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الله تعالى مدحه بأخلاقه صلى الله عليه وسلم بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤).

والأخلاق الحسنة موجودة فيمن كانوا قبله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه صلى الله عليه وسلم بينَّ ذلك في قوله: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

والمتمم: هو من جاء فوجد نقصًا فأكمله، أو جاء بغير ما كان عليه السابقون فأقره.

ولهذا لا عجب أننا نرى كتابًا للربيع بن سليمان المرادي، تلميذ الإمام الشافعي وراوي مصنَّف الرسالة له ومصنف الأم، يكتب كتابه الذي عنونه بقوله: «مناقب أبي جهل»، وذكر في مقدمته أن سبب تأليفه بُعد الناس- في وقته- عن الأخلاق، والكتاب موجود منه نسخة في دار الكتب المصرية، ولا أعلم لو بُعِثَ الربيع بن سليمان اليوم فماذا سيكتب؟!

ولما كان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم على أخلاق تُحْمَد لهم: أقر أهل العلم الآتي:

أمران لا يُسأل فيهما عن ديانة: «الجار والخُلق».

فنحن الآن في أمس الحاجة إلى خلق حسن، نتمنى به المجاورة في الآخرة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أقربكم مني منزلاً الموطئون أكنافًا، أحسانكم أخلاقًا».

فالأخلاق سمة لا بد أن يتحلى به المسلم في كل وقت مع كل أحد، وهذا هو خامس الثوابت، والتي منها الأخلاق، فهي ثابتة في كل زمان ومكان، ولا تتغير بتغير العوائد والأشخاص والأزمنة والأمكنة.

فإذا كان هذا هو حال المسلم في كل وقت، فما بالكم بحاله في رمضان؟

فمن المقرر أن شهر رمضان هو شهر فرصة يعطيها الله تعالى لعباده، وهذه الفرصة ما تكون إلا لزيادة ميزان المسلم من صيام وصلاة وبر وصلة وحسن خلق.. إلخ.

ومن الأمر البدهي المُسلَّم به أن المسلم طالما هو مأمور بأن يكون على حُسن خلق في غير رمضان، فلا بد أن يكون في رمضان من باب الأولى حَسَنَ الخلق.

فلا يزيد الصيام المسلم إلا حسن خُلق يتحلى به في رمضان

ولهذا من المفترض أن يضرب المثل بخلق الصائمين، فلا بد أن يكون الصيام مدعاة لحسن الخلق.

جعلنا الله وإياكم من أصحاب حسن الخلق في رمضان وغير رمضان.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار



إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٨)

٤٤٦- «لو يَعْلَمُ العبادُ ما في رمضانَ لتمنَّت أُمَّتي أن يكونَ رمضانُ السَّنةَ كُلَّها».

الحديث لا يصح؛ أخرجه ابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (ح٢٢)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٧٦٥)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٩/٢)، وأبو يعلى في «المسند» (ح٥٢٧٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وعلته جرير بن أيوب البجلي، ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (١٤٥٩/٣٩١/١)، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وقال: «قال أبو نعيم: كان يضع الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك». اهـ.

٤٤٧- «مَن اعتكف عشرًا في رمضانَ كانَ كحجتين وعُمرتين».

الحديث لا يصح؛ أخرجه البيهقي في «الشعب» (ح٣٦٨٠)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٨٨٨/١٢٨/٣) من حديث الحسين بن علي مرفوعًا، وعلته عنبسة بن عبد الرحمن، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٤٧/٤٠٣/٦): «سألت أبي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي فقال: هو متروك الحديث كان يضع الحديث». اهـ.

٤٤٨- «مَن أصابهُ جهدٌ في رمضانَ، فلم يُفْطِرْ، فمَاتَ...».

الحديث لا يصح، أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٢٧٠/١٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وقال: «غريب تفرد به بقية». اهـ. وعلته بقية بن الوليد، قال الذهبي في «الميزان»: «قال غير واحد: كان مدلسًا، فإذا قال «عن» فليس بحجة، وقد عنعن في هذا الحديث». وقال أبو حاتم: «لا يحتج به». وقال أبو مسهر: «أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية». وقال السيوطي في «التدريب» (٢٥٧/١): «وممن اشتهر بتدليس التسوية بقيةُ بنُ الوليدِ، وهو شرُّ أقسامه». اهـ.

٤٤٩- «انبسطُوا في النفقةِ في شهرِ رمضانَ، فإنَّ النفقةَ فيه كالنفقةِ في سبيلِ اللهِ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه ابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (ح٢٤) مرفوعًا، وعلته السقط في الإسناد والطعن في الراوي، أما السقط فالحديث مرسل، وقد سقط من بعد التابعين ضمرة بن حبيب، وراشد بن سعد، وأما الطعن في الراوي ففيه أبو بكر بن أبي مريم أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب»، ونقل عن ابن عدي أنه قال: «الغالب في حديثه الغرائب، وقال الدارقطني

متروك». اهـ.

٤٥٠- «مَن أحب الدنيا وسُرَّ بها أذهب خوف الآخرة من قلبه».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٦٢/٣) مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي: «لم أجده إلا بلاغًا للحارث بن أسد». اهـ.

٤٥١- «من كان عليه في رمضانَ شيء فأدركه رمضانُ فلم يَقْضِه لم يُقْبل منه وإن صلى تطوعًا وعليه مكتوبةٌ لم يُتقبل منه».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣١/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته عبد الله بن واقد الحراني، نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٦٧٢/٥١٧/٢) أن البخاري قال: «سكتوا عنه، وقال أيضًا: تركوه، وقال أبو زرعة، والدارقطني: ضعيف، وقال أبو حاتم: ذهب حديثه». اهـ.

٤٥٢- «صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين من غيره، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٣٨/١)، وقال الحافظ العراقي: «لم أجده». اهـ.

٤٥٣- «إن الأكل على الشبع يورث البرص».

الحديث لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (٧٩/٣)، وقال الحافظ العراقي: «هذا الحديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٥٤- (النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل شهرَ رمضانَ أطلق كل أسيرٍ، وأعطى كل سائل).

الحديث لا يصح؛ أخرجه البزار (٩٦٨- كشف الأستار) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وقال: «لا نعلم رواه هكذا إلا الهذلي، ولم يكن حافظًا، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم». اهـ.

قلتُ: وأبو بكر الهذلي هو علته، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٥٥/١): «يَرْوِي عن الأثبات الأشياء الموضوعات». اهـ. وأخرج له هذا الحديث من طريق البزار.

قلتُ: وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «العلل» (ح٦٦١): سألتُ أبي عن هذا الحديث، فقال: هذا حديثٌ منكرٌ. اهـ.

٤٥٥- «قال الله: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (١٤/٣) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا الحديث لم أر له أصلاً». اهـ.



عُجالة المتعبدين ببيان مفطّرات الصائمين

إعداد: الشيخ محمد عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

الصيام في اللغة: مطلق الإمساك، عن الفعل، أو الطعام أو الشراب، أو الكلام، أو غيرها.

وفي الشرع: إمساك المسلم المكلف بنية، عن سائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق، إلى غروب الشمس.

وقد يعرض للصيام ما يفسده، وهذا يعرف عند أهل العلم بالمفطرات، وهذه المفطرات تنقسم إلى قسمين رئيسين:

الأول: المفطرات المُجمَع عليها بين علماء الأمة.

الثاني: المفطرات المختلف فيها بينهم.

وثَمَّ قسم ثالث من المفطرات، وهي من النوازل المعاصرة التي لم يتكلم فيه أهل العلم السابقون.

وهذه الأقسام الثلاثة؛ المفطرات المُجمَع عليها، المفطرات المختلف فيها، المفطرات المعاصرة، هي موضوع هذا المقال ويقتضي الحال أن أتناولها باختصار أرجو ألا يكون مخلاً.

أولاً: المفطرات المجمع عليها، وهي ثمانية:

١. قطع نية الصيام، أو التردد فيها، لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

٢. الطعام.

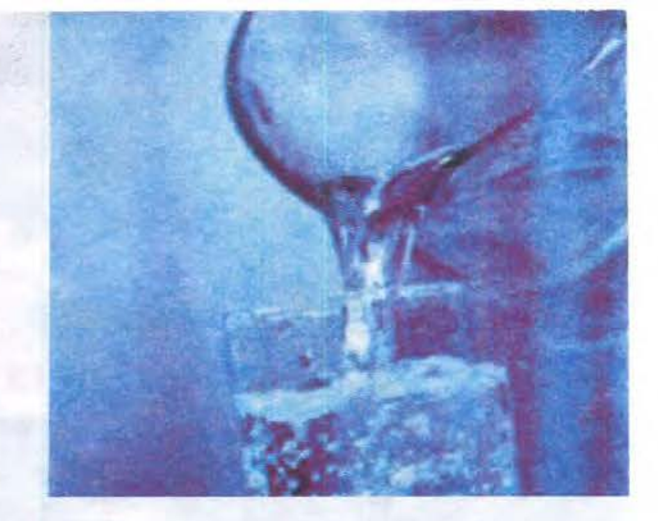
٣. الشراب.

٤. الجماع، سواء أنزل، أو لم يُنْزِل، ويجب بفعله الكفارة لحديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، قال: «بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «ما لك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»، قال: لا، فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا». قال: لا، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم، فبينا نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر والعرق المكتل قال: «أين السائل؟» فقال: أنا، قال: «خذها، فتصدق به» فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها يريد الحرتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك» أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

وهذه الثلاثة الأخيرة الأصول في المفطرات، لقوله تعالى: «فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ» (البقرة: ١٨٧).

٥. الردة، لقوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ» (الزمر: ٦٥).

٦. الاستقاءة (القيء عمدًا)، لحديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه قيء وهو صائم، فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض»؛ أخرجه الترمذي (٧٢٠)، وأبو داود



(٢٣٨٠)، وابن ماجه (١٦٧٦).

٧ - خروج دم الحيض، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم! فذلك نقصان دينها». أخرجه البخاري (١٨١٥).

٨- خروج دم النفاس.

(وانظر: الإجماع لابن المنذر (ص ٢٧، ٢٨).

فهذه هي المفطرات المجمع عليها بين أهل العلم.

ثانيًا: المفطرات المختلف فيها:

والمفطرات المختلف فيها كثيرة، ومن أهمها:

١ - الحجامة: وهي إخراج الدم المحتقن في الجسم بشرط ظاهر الجلد المتصل قصدًا لإخراج الدم من الجسد دون العروق، وفي معناها: سحب الدم الكثير بواسطة الإبر المستعملة في المستشفيات.

وقد اختلف فيها أهل العلم على قولين:

الأول: أنها من المفطرات، لحديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة لثمان عشرة مضت من رمضان، وهو آخذ بيدي، فمر على رجل يحتجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفطر الحاجم، والمحجوم».

الآخر: أنها ليست من المفطرات، لحديث ابن عباس رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم». أخرجه البخاري (١٩٣٩)، وأما حديث أفطر الحاجم، والمحجوم فهو منسوخ عند الجمهور؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أول ما كرهت الحجامة للصائم أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه احتجم وهو صائم، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أفطر هذان، ثم رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم». قال ثابت: وكان أنس يحتجم، وهو صائم. أخرجه الدارقطني (٢/١٨٢ حديث: ٧)، والبيهقي (٨٠٨٦).

٢ - استفراغ المني تلذذًا اختيارًا، سواء كان عن مباشرة، أو إدامة نظر، أو استمناء، وقد، حكي في ذلك الإجماع، وخالف فيه ابن حزم، قال في المحلى (٤/٣٣٧) «وأما الاستمناء: فإنه لم يأت نص بأنه ينقض الصوم».

والصحيح أنه من المفطرات لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

٣ - الكحل، وقطرة: العين، والأذن، والأنف إذا وجد طعمها في حلقه، فقد ذهب الحنبلية في ظاهر المذهب إلى أنها مفطرة؛ لأن هذه الأمور لها نفوذ وقوة تصل بهما إلى الجوف، وكل ما وصل إلى الجوف فهو مُفَطِّر للصائم، ولحديث لقيط ابن صبرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائمًا». أخرجه أبو داود (٢٣٦٤)، والترمذي (٧٢٥) وقال: (حديث حسن).

ويرجع خلاف أهل العلم في ذلك إلى تعريفهم للجوف، واعتبارهم كل ما يصل إلى الجوف مفسد للصوم ولو كان غير مُغذٍ، والراجح أنها ليست من المفطرات.

القسم الثالث: النوازل الجديدة بشأن المفطرات في مجال التداوي:

وهذه يحسن في مثلها الأخذ بالقرارات الجماعية، لمن ليس له أهلية النظر في المسألة، وسوف أنقل فيها قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن المفطرات في مجال التداوي: (رقم ٩٣):

قرر ما يلي:

أولاً: الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات:

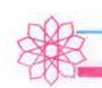
١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣- ما يدخل المهبل من تحاميل «لبوس»، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع، للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل، أي: مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة «أنبوب دقيق» أو منظار، أو مادة



ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك، وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨- الحقن العلاجية الجلدية، أو العضلية، أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز أكسجين.

١٠- غازات التخدير «البنج»، ما لم يُعطَ المريض سوائل «محاليل» مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصًا من الجلد؛ كالدهونات، والمراهم، واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قسطرة «أنبوب دقيق» في الشرايين لتصوير، أو علاج أوعية القلب، أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء، أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات «خزعات» من الكبد، أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة، إذا لم يصاحبه إدخال سوائل «محاليل»، أو مواد أخرى.

١٦- دخول أية أداة، أو مواد علاجية إلى الدماغ، أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد «الاستقاءة»».

ويبقى النظر في مسائل منها:

١ ـ بخاخ الربو، واستنشاق أبخرة المواد لمن كان عنده ضيق في التنفس فيجوز له على الراجح استخدام البخار، أو بخاخ الربو؛ لأنه لا يشبه الأكل والشرب، وهو اختيار اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية، كما جاء في مجلة البحوث الإسلامية (٣ العدد: ٤٣، ص: ١٥٥).

٢ ـ الحقن المستعملة في علاج الفشل الكلوي في الصفاق (الباريتون) أو الكلية الصناعية، وقد رأت الندوة الطبية الفقهية التاسعة التابعة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت سنة: ١٩٩٧ م: أنها غير مفطرة.

وذهب جمع من أهل العلم إلى أنه مفطر لأنه يزود الجسم بالدم النقي، وقد يزوده بمواد أخرى مغذية، فقد اجتمع له مفطران، وهذا القول أحوط.



٣ ـ نقل الدم من الإنسان الصحيح إلى المريض، وحقنه به عن طريق الوريد، وقد اختلف فيه المعاصرون على قولين:

الأول: أنه مفطر؛ لأن الدم خلاصة الغذاء ويحصل به ما يحصل بالطعام والشراب من تقوية البدن وحفظه.

الآخر: أنه غير مفطر، وهو اختيار دار الإفتاء المصرية، والندوة الطبية الفقهية التاسعة التابعة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت سنة: ١٩٩٧ م؛ لأنه ليس طعامًا ولا شرابًا، ولا يستغني الإنسان به عن الطعام والشراب، والأصل عدم الإفطار إلا بيقين أو ظن قوي.

والقول الأول أحوط للمسلم خروجًا من الخلاف خاصة أنه خلاف قوي.

ختامًا:

هذه المفطرات السابقة لا تكون مفطرة للأعيان المنزل عليهم الحكم الشرعي إلا بشروط أربعة: العلم، والاختيار، والقصد، والذكر.

فإن كان المكلف جاهلاً بالحكم، أو أكره على الفعل، أو أخطأ ففعل عن غير قصد، أو تناول مفطرًا ناسيًا فصيامه صحيح، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا » (البقرة: ٢٨٦) «قال الله تعالى: قد فعلت». أخرجه مسلم (٢٠٠).

ولحديث ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهُوا عليه». أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، قال ابن كثير في تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب (ص ٢٣٢): إسناده جيد.

هذا ما يسره الله في هذه العجالة، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وما أردت إلا الحسنى، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.





رمضان مدرسة لتجديد الإيمان

إعداد  الشيخ د: عبدالرحمن السديس
إمام المسجد الحرام

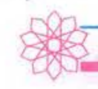
أيها المسلمون: أرأيتم بماذا تقاس أفراح أهل الإيمان؟! إنها أفراح علوية، ومسرات روحية، تطلق النفوس من قيد المطامع الشخصية، وتحررها من أسر الأغراض المادية، وتحلق بها في آفاق أسمى وأولى، وتترقى بها في طموحات أرحب وأعلى، لذلك كانت أفراح أهل الإيمان عن الملذات تتسامى، وعن المشتهيات تترفع وتتعالى، أفراح المؤمنين تتجدد بتجدد مواسم الخير والعطاء، ومناسبات الطهر والصفاء، والمحبة والمودة والإخاء، والبر والسعادة والهناء.

تمر الأيام وما أسرعها! وتمضي الشهور وما أعجلها! ويطل علينا موسمٌ كريم، وشهر عظيم، ويفد علينا وافدٌ حبيب وضيف عزيز، فبعد ساعات معدودات يهل علينا شهر رمضان المبارك بأجوائه العبقة، وأيامه المباركة الوضاءة، ولياليه الغر المتلألئة، ونظامه الفريد المتميز، وأحكامه وحكَمه السامية.

هو من فضل الله-سبحانه وتعالى- على هذه الأمة؛ لما له من الخصائص والمزايا، ولما أعطيت فيه أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الهبات وخصت فيه من الكرامات، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين".

فيا لها من فرصة عظيمة، ومناسبة كريمة، تصفو فيها النفوس، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، تفتح الجنات، وتتنزل الرحمات، وترفع الدرجات، وتغفر الزلات، وتحط الأوزار والخطيئات، يجزل الله فيها العطايا والمواهب، ويفتح أبواب الخير لكل راغب، ويعظم أسباب التوفيق لكل طالب، فلله الحمد والشكر على جزيل نعمائه، وترادف مننه وآلائه.

معاشر المسلمين: إن الأفراد والأمم لمحتاجون لفترات من الراحة والصفاء لتجديد معالم الإيمان، وإصلاح ما فسد من أحوال، وعلاج ما جد من أدواء، وشهر رمضان المبارك هو الفترة الروحية التي تجد فيها هذه الأمة فرصة لاستجلاء تاريخها، وإعادة أمجادها، وإصلاح أوضاعها، إنه محطة لتعبئة القوى الروحية والخلقية التي تحتاج إليها الأمة، بل يتطلع إليها كل فرد في المجتمع، إنه مدرسة لتجديد الإيمان، وتهذيب الأخلاق، وتقوية الأرواح، وإصلاح النفوس، وضبط الغرائز، وكبح جماح الشهوات، إنه مضمار يتنافس فيه المتنافسون للوصول إلى قمم الفضائل، ومعالي الشمائل، وبه تتجلى وحدة



الأمة الإسلامية.

الصيام مدرسة للبذل والجود والبر والصلة، هو حقًا معين الأخلاق وروافد الرحمة، ومنهل عذب لأعمال الخير في الأمة.

فما أجدر الأمة الإسلامية وهي تستقبل شهرها أن تقوم بدورها! وتحاسب نفسها! وتراجع حساباتها! وتعيد النظر في مواقفها.

ما أحوجها إلى استلهام حكم الصيام، والاستفادة من معطياته، والنهل من معين ثمراته ونمير خيراته.

أمة الإسلام: بماذا عسانا أن نستقبل شهرنا الكريم، وموسمنا الأغر العظيم؟! إن الناظر في واقع الناس اليوم إزاء استقبال هذا الشهر الكريم يجدهم أصنافا:

فمنهم من لا يرى فيه أكثر من حرمان لا داعي له، وتقليد لا مبرر له، بل قد يرفع عقيرته مدعيًا أنه قيودٌ ثقيلة وطقوسٌ كليلة، تجاوزها عصر الحضارة وتطور الثقافة وركب المدنية الحديثة.

ومنهم من لا يرى فيه إلا جوعًا لا تتحمله البطون، وعطشًا لا تقوى عليه العروق.

ومنهم من يرى فيه موسمًا سنويًا للموائد الزاخرة باللذيذ المستطاب من الطعام والشراب، وفرصة سانحة للسمر والسهر واللهو إلى هجيع من الليل، بل إلى بزوغ الفجر، ممتطين صهوةَ الفضائيات، وما تقذف به شتى القنوات، وما تعج به شبكات المعلومات، يتبع ذلك استغراق في نوم عميق نهارًا، فإذا كان من ذوي الأعمال تبرم بعمله، وإذا كان من أصحاب العاملات ساءت معاملاته وضاق عطنه، وإذا كان موظفًا ثقل عليه الالتزام بأداء مسئولياته، وقلَّ إنتاجه وعطاؤه، وغالب هذا الصنف هم من يملؤون الأسواق هذه الأيام تبضعًا وتخزينًا للمواد الغذائية المتنوعة، زاعمين أن ذلك يترجم الاستقبال الأمثل لرمضان.

وفي الأمة-بحمد الله وهم الأكثرون إن شاء الله- من يرى في رمضان غير هذا كله، وأجل منه جميعه، يرون فيه دورة إيمانية تدريبية لتجديد معانٍ عظيمة في النفوس، من الإيمان العميق، والخُلق القويم، والصبر الكريم، والعمل النبيل، والإيثار الجليل، والتهذيب البليغ، والإصلاح العام للأفراد والمجتمعات.

إن استقبالنا لرمضان-يا عباد الله- يجب أن يكون بالحمد والشكر لله-جل وعلا-، والفرح والاغتباط بهذا الموسم العظيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).

والتوبة والإنابة من جميع الذنوب والمعاصي، وأي عبد لم يلم بشيء منها؟! كما يجب الخروج من المظالم، وأداء الحقوق إلى أصحابها، وفتح باب المحاسبة الجادة للنفوس، والمراجعة الدقيقة للمواقف، والعمل على الاستفادة من أيامه ولياليه صلاحًا وإصلاحًا، بهذا الشعور والإحساس يتحقق الأمل المنشود، وتسعد الأفراد والمجتمعات بإذن الله.

أما أن يدخل رمضان ويراه بعض الناس تقليدًا موروثًا، وأعمالاً صورية محدودة الأثر ضعيفة العطاء، بل لعل بعضهم أن يزداد سوءًا وانحرافًا والعياذ بالله، فذلك انهزام نفسي، وعبثٌ شيطاني، له عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". ألا فلتهنأ الأمة الإسلامية جميعًا بحلول هذا الشهر العظيم، وليهنأ المسلمون قاطبة بهذا الوافد الكريم.

إنه فرصة للطائعين للاستزادة من العمل الصالح، وفرصة للمذنبين للتوبة والإنابة، كيف لا يفرح المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! وكيف لا يفرح المذنب بإغلاق أبواب النيران؟! يا لها من فرص لا يرحم فيها إلا مرحوم، ولا يحرمها إلا محروم! ويا بشرى للمسلمين بحلول شهر الصيام والقيام!

فالله الله-عباد الله- في الجد والتشمير دون استثقال لصيامه، واستطالة لقيامه، واستبطاء لأيامه، وحذار من الوقوع في نواقضه ونواقصه، أو تعاطي مفطراته الحسية والمعنوية، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

إخوة الإيمان: إن شهر رمضان آتٍ بعد لحظات:

جاء شهر الخيرات بالبركات

فأكرم به من زائر هو آت

فالذين يستقبلونه على أنه شهر جوع ونوم، وحرمانٍ نهاري، وشبع وسهر ليلي، وأعمالٍ وأقوالٍ لا تجاوز اللسان، ولا يعمر به جنان، لن يستفيدوا من معطياته، ولن ينهلوا من خيراته.

وأما الذين يستقبلونه على أنه مدرسة لتجديد الإيمان، ومحطة لتهذيب الأخلاق والسلوك، وتقوية الضمائر والأرواح، وانطلاقة جادة لحياة أفضل، ومستقبل أكمل، فهؤلاء هم المستثمرون على الحقيقة، قد أغذوا السير وأعدوا الحياة لتروح نسماته، والنهل من خيراته وبركاته، هؤلاء هم الخليقون بالرحمات، الحقيقون بالخيرات، الجديرون بالعطايا والهبات، المبشرون بروح الجنات، هؤلاء -بإذن الله- هم المعوَّل عليهم -بعد الله- في صلاح الأوضاع، واستنزال النصر والعزة، وكسب الجولات، في إسعاد المجتمعات، ومواجهة التحديات.

وما أحوجنا إلى هذا الجيل الإيماني اليوم ونحن نواجه المؤامرات من قوى الشر والطغيان، وإن الغيور ليتساءل بحرقة وأسى: بأي حال يستقبل إخواننا المسلمون في الأرض المباركة فلسطين شهر رمضان المبارك، وهم يواجهون العدوان اليهودي الغاشم ضد مقدسات الأمة ومقدراتها هناك؟! بأي حال يستقبل إخواننا في العقيدة على ثرى كشمير والشيشان وفي بقاع كثيرة من العالم هذا الشهر الكريم؟!

وهمسة محب ناصح في أذن كل من يواقع معصية، أو يقترف خطيئة، فإن شهر رمضان فرصة للإقلاع والندم والتوبة والإنابة، وهو مدرسة الصبر والتحمل والقوة والإرادة، فلنبادر جميعًا إلى الكف عن الوقوع في أي لون من ألوان المحرمات في حقوق الله أو في حقوق عباد الله، لاسيما والأجواء الإيمانية والأوقات الروحانية تعين على ذلك، كيف لا والعمر قصير، والأجل يأتي بغتة. والله المستعان.

كما أن الدعوة موجهة وبإلحاح إلى القائمين على وسائل الإعلام، والمسؤولين عن القنوات الفضائية، أن يتقوا الله في الأمة في هذا الشهر الكريم، فيبثوا الخير والفضيلة، ويكفوا عن الشر والرذيلة، تأدبًا مع قدسية الزمان، ورعاية لحرمة شهر رمضان، هذا إن رمنا الاستفادة من هذا الشهر الكريم، وإننا لفاعلون إن شاء الله.

فاتقوا الله-عباد الله- واشكروه على ما منّ به عليكم من قرب حلول شهر الصيام والقيام، واعلموا-يا رعاكم الله- أن إدراك شهر رمضان نعمة عظمى ومنة كبرى، فكم من أناس حال بينهم وبينه هادم اللذات ومفرق الجماعات، ولقد كان رسولكم صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان، يستحث بذلك عزائم المؤمنين، ويشرح صدور المسلمين للإقبال على طاعة رب العالمين، ويشوقهم ويرغبهم فيما عند الله من الفضل العظيم والخير العميم، فقد روى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي من حديث سلمان-رضي الله عنه- قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: "أيها الناس: قد أظلكم شهرٌ كريم مبارك، شهرٌ فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر...". الحديث.

وفي الحديث الآخر: "أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله-عز وجل-". رواه الطبراني وغيره، ورواته ثقات من حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-.

وفي حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير: أقبل، ويا باغي الشر: أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة".

فيا أيها المسلمون: أروا الله من أنفسكم خيرًا، افتحوا صفحة جديدة من حياتكم، مسطرة بأحرف الخير والبر والتقوى والعمل الصالح.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل البر والصلاح.

والحمد لله رب العالمين.





فقه المرأة في رمضان

إعداد: د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فلما كان للمرأة أحكام تختص بها عن الرجال في باب الصيام شرعت في كتابة هذه الحلقة مساهمة مني في بيان بعض هذه الأحكام، سائلة الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا؛ إنه قريب مجيب الدعاء.

أولاً: إذا وقع الحيض أو النفاس قبل غروب الشمس ولو بلحظات بطل الصوم:

وهذا مما أجمع عليه أهل العلم، لأن من المعلوم أن الحيض والنفاس من مبطلات الصيام، ولا فرق إن وقع أول النهار أو أوسط النهار أو قبل غروب الشمس ولو بلحظات، وعلى هذا فيكون عليها قضاء هذا اليوم.

قال النووي في المجموع (٦/٢٥٩): "لا يصح صوم الحائض والنفساء، ولا يجب عليهما، ويحرم عليهما، ويجب قضاؤه، وهذا كله مجمع عليه، ولو أمسكت لا بنية الصوم لم تأثم، وإنما تأثم إذا نوته".

ثانيًا: إذا انقطع دم الحيض أو النفاس ونوت المرأة الصوم قبل طلوع الفجر فصيامهما صحيح عند الجمهور، ولا يتوقف صحة صومهما على الغسل.

والدليل على ذلك:

عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم- أخرجه البخاري (١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩).

فإذا كان الجنب يغتسل بعد الفجر ويصح صومه فكذا الحائض سواء بسواء- المغني (١٤٩/٣).

قال ابن قدامة في المغني (١٤٩/٣): "وكذلك المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، فهي صائمة إذا نوت الصوم قبل طلوع الفجر، وتغتسل إذا أصبحت، وجملة ذلك أن الحكم في المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، كالحكم في الجنب سواء، ويشترط أن ينقطع حيضها قبل طلوع الفجر؛ لأنه إن وجد جزء منه في النهار أفسد الصوم، ويشترط أن تنوي الصوم أيضا من الليل بعد انقطاعه؛ لأنه لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل".

قال الحافظ في الفتح (٢٢٦/٤): "ومما يفرق فيه بين الصوم والصلاة في حق الحائض أنها لو طهرت قبل الفجر ونوت صح صومها في قول الجمهور ولا يتوقف على الغسل".

ثالثًا: إذا أصبحت المرأة جنبًا صح صومها.

والدليل على ذلك ما يأتي:

عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم- أخرجه البخاري

(١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩).

رابعًا: الحامل أو المرضع إذا لم يطيقا الصوم أو خافتا على أنفسهما أو على أولادهما فلهما الفطر:

واختلف الفقهاء فيما يجب عليهما، هل يجب عليهما القضاء، أم الإطعام، أم كليهما، أم لا يجب عليهما شئ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن عليهما القضاء، وحجة أصحاب هذا القول هو قياس الحامل والمرضع على المريض قال تعالى: «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٨٤).

وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد.

وقال مالك: الحبلى هي كالمريض تقضي ولا تطعم، والمرضع: تقضي وتطعم. أما إذا خافتا على أولادهما ولم تخافا على أنفسهما تفطران وتقضيان وتطعمان، وهذا ما ذهب إليه الشافعي وأحمد.

وقال مالك: الحبلى تقضي ولا تكفر، والمرضع تقضي وتكفر.

وقال أبو حنيفة: تفطران وتقضيان ولا تطعمان، وحجته أنه إفطار بعذر فلا فدية فيه، وهو قول المزني من أصحاب الشافعي والثوري والأوزاعي وابن المنذر وغيرهم.

القول الثاني: أن عليهما الإطعام فقط، وحجتهم الآية الكريمة «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٨٤)، قال ابن عباس: الآية ليست منسوخة، وحديث ابن عباس وفيه: «إذا خافت الحامل على نفسها والمرضع على ولدها في رمضان قال: يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينا، لا يقضيان صوما»- أخرجه الدارقطني (٢٣٦٠)، والبيهقي (٢٥٣/٦)، وصححه الألباني- رحمه الله- في الإرواء (١٩/٤).

وهذا مذهب ابن عباس.

القول الثالث: ليس عليهما قضاء ولا إطعام، وحجتهم براءة الذمة، ولأن الله تعالى لم يوجب القضاء إلا على المريض والمسافر والحائض والنفساء ومتعمد القيء، أما الفدية فحجتهم أنه لا نصَّ فيها ولا إجماع، وهذا مذهب الإمام ابن حزم الظاهري.

واحتج ابن حزم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يَرحم لا يُرحم».

فإذًا رحمة الجنين والرضيع فرض ولا وصول إليها إلا بالفطر، فالفطر فرض وإذ هو فرض فقد سقط عنهما الصوم وإذا سقط الصوم، فإيجاب القضاء عليهما شرع لم يأذن الله تعالى به، ولم يوجب الله تعالى القضاء إلا على المريض والمسافر والحائض والنفساء ومتعمد القيء فقط.

تعقيب وترجيح

والذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفه والشافعي وأحمد من وجوب القضاء على الحامل والمرضع إذا لم تطيقا الصوم وخافتا على أنفسهما. قال الله تعالى: «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٨٤).

فالحامل والمرضع في حكم المريض كما قال أهل العلم.

أما الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على أولادهما فالذي تطمئن إليه النفس أن عليهما القضاء فقط وليس عليهما فدية مع القضاء.

وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم، والذي يقوي هذا عندي أنه لم يأت نصٌّ ولا إجماع يوجب عليهما الفدية مع القضاء، وأيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام». صحيح سنن النسائي (٢٣١٥).

فالحامل والمرضع تفطران بعذر وعندهما رخصة، وعلى هذا لا يجب عليهما إلا القضاء فقط، والله تعالى أعلم بالصواب.

تنبيه:

إذا كانت الحامل أو المرضع يشق عليهما القضاء ويجهدهما الصوم جهدًا شديدًا لا يحتمل فحكمهما حكم الشيخ الكبير والعجوز ليس عليهما



صوم، ولكن يطعمان عن كل يوم مسكينًا، لقول الله تعالى « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » (البقرة: ٢٨٦).

خامسًا: يجوز خروج المرأة لصلاة التراويح في المسجد إذا استأذنت زوجها ولم يترتب على خروجها فتنة:

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ، قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَامَ الرِّجَالُ»- أخرجه البخاري: (٨٦٦).

٢- عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم «إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَمْنَعْهَا»- أخرجه البخاري: (٨٧٣).

٣- عن ابن عمر قال: "كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟

قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»- أخرجه البخاري: (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢).

قال ابن دقيق العيد: "هذا الحديث عام في النساء، إلا أن الفقهاء خصوه بشروط: منها أن لا تتطيب، وهو في بعض الروايات «وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلاَتٍ» قلت: هي بفتح المثناة وكسر الفاء أي غير متطيبات، ويقال امرأة تفلة إذا كانت متغيرة الريح، فتح الباري (٢/٤٠٦-٤٠٧).

سادسًا: للمرأة أن تعتكف في المسجد بإذن زوجها:
ذهب جمهور أهل العلم إلى أن اعتكاف المرأة لا يجوز إلا في المسجد واستدلوا بما يأتي:

١- قوله تعالى: « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة: ١٨٨).

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها فضربت خباء، فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأخبية فقال: ما هذا؟ فأخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آلبر ترون بهن؟ فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرًا من شوال»- أخرجه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٣).

وهذا ما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر وغيرهم.

وخالفهم في ذلك آخرون، وقالوا: يجوز للمرأة أن تعتكف في مسجد بيتها، واستدلوا بحديث الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»- صحيح سنن أبي داود (٧٥٠)، وابن خزيمة (١٦٩٠)، والحاكم في المستدرك (٧٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٣٦١).

المخدع: البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير، تحفظ فيه الأمتعة النفيسة- عون المعبود (٢/١٩٥).

وهذا مذهب أبي حنيفة وبعض المالكية وبعض الشافعية.

تعقيب وترجيح:

والذي أختاره في هذه المسألة وأرجحه هو ما ذهب إليه الجمهور، منهم الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والشافعي من أن المرأة لا يجوز لها أن تعتكف في مسجد بيتها وتعتكف في أي مسجد سواءً كان تقام فيه الجمعة والجماعات أو لا، لأنه ليس فرض عليها صلاة الجماعة، والذي يقوي ذلك ما أشار إليه الإمام النووي، أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتكفن إلا في المسجد، ولو كان يصح اعتكاف النساء في البيوت لدلهن على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.



صدِّيق الأمة وبابُ الريان

إعداد الشيخ / زكريا حسيني محمد
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة).

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدْعَى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: (نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر). (متفق عليه).

أولاً: صديق الأمة رضي الله عنه:

هو على المشهور: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مُرَّة بن كَعْبٍ، وعدد آبائهما إلى مُرَّة سواء. (فكل منهما آباؤه إلى مرة ستة).

ويكنى أبوه: أبا قحافة، وأما أمه فهي: سلمى بنت صخر بن مالك بن عامر بن عمرو المذكور وكنيتها أم الخير، أسلمت وهاجرت، وذلك معدود من مناقبه، لأنه انتظم له إسلام أبويه وجميع أولاده.

ومن أسمائه أيضًا رضي الله عنه: عتيق، ولم يختلف في كنيته التي عرف بها واشتهر وكذا لقبه فهو معروف بهما (أبو بكر- الصديق)، ولقد لقب بالصِّديق لسبقه إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء.

بعض مناقب الصّديق:

مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كثيرة جدًا لا يمكن إحصاؤها إلا في مجلدات كبيرة، وهذه المناقب لا يجحدها إلا مبتدع مبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنقتصر على الصحيح المسند منها، بل على بعضه فقط لأن المقام لا يتسع لذكر الصحيح كله وغيره أكثر منه بكثير، فمن ذلك:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خرج

علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إنه ليس من الناس أحدٌ أَمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنتَ متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ خُلَّة الإسلام أفضل سُدُّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر). (أخرجه البخاري).

٢- قول النبي صلى الله عليه وسلم (سُدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر)

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ وقال: (إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله). قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر، وكان أبو بكر أَعْلَمَنَا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر). (متفق عليه).

٣- الصديق رضي الله عنه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة). قلت: من الرجال؟ قال: (أبوها). قلت: ثم مَن؟ قال: (ثم عمر بن الخطاب) فعدَّ رجالاً. (متفق عليه).

٤- أسبقية الصديق رضي الله عنه إلى الإسلام:

عن عمار رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أَعْبُد وامرأتان وأبو بكر. (أخرجه البخاري).

٥- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بتصديق أبي بكر له حين كذبه الناس:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما صاحبكم فقد غامر). فسلَّم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلت إليك، فقال: (يغفرالله لك يا أبا بكر) (ثلاثًا)، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقال: لا، فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أَظْلَمَ (مرتين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟) (مرتين)، فما أوذي بعدها. (أخرجه البخاري).

٦- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بالصديقية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صَعدَ أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فَرَجَفَ بهم، فقَال: (اثْبُتْ أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان). (أخرجه البخاري وأحمد في فضائل الصحابة)

٧- دفاع الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّه» (غافر: ٢٨)، (أخرجه البخاري)

٨- صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة:

قال الله تعالى: «إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

٩- من بشارات النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم اليوم صائمًا؟) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: (فمن تبع منكم اليوم جنازة؟) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: (فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: (فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة). (أخرجه مسلم).

١٠- علو منزلة الصديق رضي الله عنه في الجنة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الدرجات العلى ليُرَوْنَ من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما). (أخرجه أحمد في المسند).

١١- الصديق رضي الله عنه من الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٧٢)، قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: (من يذهب في إثرهم؟) فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر والزبير. (أخرجه الشيخان)

١٢- جبريل وميكائيل يقاتلان مع الصديق وعلي رضي الله عنهما:

عن عليّ رضي الله عنه قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل مَلَكٌ عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف). (أخرجه الإمام أحمد في المسند والحاكم وغيرهما)

١٣- تقديم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليصلي بالناس:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: مرض النبي صلى الله عليه وسلم، فاشتد مرضه، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). فقالت عائشة رضي الله عنها: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). فعادت. فقال: (مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف)، فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. (متفق عليه)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتُب كتابًا فإني أخاف أن يتمنَّى مُتمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر). (أخرجه مسلم).

١٤- شهادة الصحابة رضي الله عنهم بخيرية أبي بكر وأفضليته:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم. (أخرجه البخاري).

١٥- شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك:

عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (أخرجه البخاري).

هذا مختصرٌ شديدُ الاختصار لمناقب الصديق رضي الله عنه، فهل يسوغ لمسلم يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله واليوم الآخر أن يطعن أو يسب الصديق رضي الله عنه؟

فإذا سَبَّ أحدنا الصحابة أو لَعَنَهُمْ أوْ كَفَّرَهُم فعلى من نترضَّى؟ ومن المسلمُ إذا كَفَرُوا هُمْ؟ أأشباه البشر في هذا الزمان الذين يريدون أن يثبتوا العصمة لأئمتهم ونواب أئمتهم؟

أتَتَنَقَّصُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ونثبت العصمة للأئمة والآيات، إن هذا لشيء عجاب.

نسأل الله العصمة من الزلل وأن يحفظ علينا ديننا وعقولنا، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه.

ثانيا: باب الريان:

بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن أبواب الجنة مخصص كل باب منها لأهل عمل من الأعمال، ومن تلك الأبواب باب الريان الذي يدخل منه الصائمون كما جاء في الحديث الذي معنا، وكما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في صحيحهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدٌ). وأخرجه الترمذي وزاد فيه: (ومن دخله لم يظمأ أبدًا). وفي رواية النسائي وابن خزيمة زيادة: (من دخل شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا).

وهذا بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم للصائمين الذين يظمأون نهارهم ابتغاء رضوان الله تعالى فإن الله تعالى يرضى عنهم فيخصهم بذلك الباب الذي يسمى (باب الريان) مقابل ظمئهم الذي تجشموه في الدنيا، فيكافأون بريّ وامتلاء من الماء، وليس كالري في الدنيا ولا الامتلاء فيها، بل هو ري مميز بأنه لا ظمأ بعده أبدًا، قال القرطبي: اكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه، وقال الحافظ في الفتح: أو لأنه أشق على الصائم من الجوع.

أبو بكر في الجنة وإن رغمت أنوف

والمسلم إنما يأتي بهذه العبادات ابتغاء ثواب الله عز وجل والفوز بالجنة، وانظر حال الصديق رضي الله عنه عندما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وسؤاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فيطمع الصديق رضي الله عنه أن تدعوه خزنة كل باب من أبواب الجنة الثمانية، وفي هذا تصور لتنافس هؤلاء الخزنة على العاملين الصالحات في الدنيا من المؤمنين، فيطمع كل خزنة باب في دخول هؤلاء من بابهم، ويجيب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الجواب الشافي الذي يُطَمْئنُ فؤادهُ رضي الله عنه وفؤاد كل مؤمن: (نعم) أي يُدْعَى المؤمن من تلك الأبواب جميعها، ثم يبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر). قال الحافظ في الفتح: قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ووقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه: (قال أَجَلْ وأنت هو يا أبا بكر). قال: وفي الحديث من الفوائد إشعارٌ بقلة من يُدْعَى من تلك الأبواب كلها، وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها، لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها، بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه، والله أعلم.

ولا يعارض هذا ما أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه: (من توضأ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله...) الحديث، وفيه: (فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء) لأن هذا يحمل على أنها تفتح له على سبيل التكريم، ثم عند دخوله لا يدخل إلا من باب واحد كما تقدم، والله أعلم.

وفي الحديث أيضًا من الفوائد: أن من أكثر من شيء عُرِفَ به، وأن أعمال البر قل أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء، وأن الملائكة يحبون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، وأن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وأن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب، والعلم عند الله تعالى.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



واحة التوحيد

من نور كتاب الله

إجابة الله للداعين

قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة: ١٨٦)

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ؛ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ» (صحيح ابن خزيمة ١٩٩٦).

رمضان شهر الاجتهاد في العبادات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ». (رواه مسلم ١١٧٥)

رمضان شهر الجود والكرم

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِلا أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» (رواه الترمذي ٨٠٧ وصححه الألباني).

إكرام الله للمسلمين في أول ليلة من شهر رمضان

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كل لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ عِنْدَ كل لَيْلَةٍ). (رواه الترمذي ٦٨٢ وصححه الألباني).



إعداد : علاء خضر

دعاء رؤية الهلال

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضى اللَّه عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ» (رواه الترمذي ٣٤٥١، وصححه الألباني).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

مراجعته للقرآن في رمضان

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أجودَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (رواه البخاري ١٨٠٣).

رمضان شهر الصيام والقرآن

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ) (رواه أحمد في المسند ٦٦٢٦، وصححه الألباني).

دعاء ليلة القدر

عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنه قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي). (رواه الترمذي ٣٥١٣ وصححه الألباني).

لا تحرم نفسك الخير!

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؛ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ». يعني ليلة القدر، (رواه ابن ماجه ١٦٤٤ وصححه الألباني).



أخطاء الصائمين في رمضان

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه كلمات في تذكير المسلمين ببعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين في رمضان، وقد قسمت المقالة إلى قسمين: القسم الأول: تذكرة ببعض المسائل حول الخطأ وأسبابه وأنواعه وغير ذلك، والقسم الثاني ذكر بعض الأخطاء التي يقع فيها الصائمون.

أولا: القسم الأول:

١- ميزان الخطأ والصواب:

لا بد من ميزان واحد، يكون إليه المرجع في التفرقة بين الخطأ والصواب، وهو الوحي قرآن وسنة، فالمشرع لم يدع شيئًا من العبادات إلا وقد بيّنه لنا، وأمرنا عند الاختلاف والتنازع أن نرد الأمر إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ» (النساء: ٥٩).

٢- الخطأ نوعان:

خطأ ضد الصواب، كما بالحديث: «وإن أخطأ فله أجر» فيقال فلان مخطئ: أي جانب الصواب، وخطأ ضد الطاعة، وهذا معصية، فيقال فلان أخطأ، وفلان أطاع، فالخاطئ الذي يفعل المعصية عمدًا ويترك الطاعة قصدًا، وهو آثم إن لم يتب إلى الله تعالى، أمَا المخطئ فهو الذي يقع فيما لا يريد أن يقع فيه، فلا إثم عليه وعليه ضمان ما تلف بسبب خطئه.

٣- أسباب الخطأ:

إن الخطأ له أسباب كثيرة منها:

ا- الجهل، والجهل قد يكون مركبًا أو بسيطا،

ب- الهوى: قال الله تعالى: «أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا» (الفرقان:٤٣).

ج- التقليد الأعمى: ومن ذلك أن يقلد أحدهم في كل أقواله وأفعاله وإن كانت خلاف الدليل، د- الكبر: وهو داء عضال، نعوذ بالله منه، وقد عرّفه النبي صلى الله عليه وسلم - كما بالحديث السابق - بطر الحق وغمط الناس: أي رد الحق واحتقار الناس.

هـ- النسيان: وهذا يرفع عن صاحبه الإثم، كما بحديث ابن عباس رضي

الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (صحيح ابن ماجه وغيره).

القسم الثاني: أبرز الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين:

أولا: قبل الصيام:

١- الرياء وعدم الإخلاص: وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به...». (متفق عليه).

٢- عدم عقد النية: فلا بد من تبييت نية الصيام قبل الفجر، كما بحديث حفصة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له» (صحيح سنن أبي داوود وغيره).

٣- التلفظ بالنية: وهذه بدعة، والنية محلها القلب.

٤- ترك السحور: وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تسحَّروا؛ فإن في السحور بركة» (متفق عليه).

٥- تعجيل السحور: وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال قدر خمسين آية. (متفق عليه).

٦- الإمساك قبل الفجر: وهذه بدعة، فيجعلون وقتًا للإمساك، يسمى وقت الإمساك، والإمساك لا يكون إلا بأذان الفجر.

ثانيا: أثناء الصيام:

١- الإصرار على المعاصي والذنوب، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣).

٢- المشي بالغيبة والنميمة بين الناس: وهذا من كبائر الذنوب، ويأكل الحسنات أكلاً.

٣- الكذب والزور: وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

٤- رفع الصوت والسباب: وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. فإن سابك أحد أو جهل عليك؛ فقل إني صائم، إني صائم» (ابن خزيمة وصححه الألباني).

٥- قضاء أوقات الصيام أمام وسائل الإعلام لمشاهدة الأفلام والمسلسلات والفوازير، مما يضيع على الصائم أجر صيامه وأفضل أوقات عبادته، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» (صحيح النسائي وغيره).

٦- النوم طوال النهار ثم القيام على أذان المغرب، فلا صلاة ولا إحساس بصوم، ولا طاعة.

٧- ترك صلاة الجماعة: وهذا يقع فيه الناس في رمضان وغير رمضان، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص للأعمى أن يصلي في بيته كما بالحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال له: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني

إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال نعم: فقال: فأجب». (رواه مسلم وغيره). وفي رواية قال: «ما أجد لك رخصة».

٨- ترك الصلاة بالكلية: وتاركها على خطر عظيم، فالصلاة أهم ركن في الدين بعد التوحيد، وهى الفارقة بين الكفر والإسلام، وفي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (رواه مسلم وغيره).

٩- الصلاة في رمضان فقط وتركها قبل رمضان وبعده: فهل شرّع الله تعالى الصلاة في رمضان فقط كما شرّع الصيام فيه؟

١٠- ارتداء المرأة للحجاب في رمضان فقط. بل إن بعضهن ترتديه نهارًا وتخلعه ليلاً، والحجاب فرض على المرأة كالصلاة والصيام وغيرهما مما افترضه الله تعالى، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ» (الأحزاب: ٥٩)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما:... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها من مسيرة كذا وكذا» (رواه مسلم).

١١- ترك المرأة وخاصة الفتيات الحجاب: فلا تستحي أنها صائمة وأنها في شهر مبارك، بل يخرج بعضهن الآن في شوارع المسلمين في نهار رمضان متبرجات ويضعن المساحيق، وعن أبى مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت». (رواه البخاري).

١٢- انشغال النساء بتجهيز الطعام والشراب طوال نهار رمضان، حتى تشغل بذلك عن أداء الصلوات في أوقاتها، وعن أذكار الصباح والمساء فضلاً عن قراءة كتاب الله تعالى.

١٣- الانشغال بالإفطار وترك صلاة المغرب في المسجد في جماعة: والسنة الإفطار على رطبات أو تمرات أو ماء والذهاب إلى صلاة الجماعة ثم الإفطار بعد الصلاة.

ثالثا: بعد الإفطار:

١- العكوف على المسلسلات وترك صلاة العشاء والتراويح.

٢- الجلوس على المقاهي عقب الإفطار وترك صلاة العشاء والتراويح، وبعضهم يصلي ثم يكمل السهرة على المقاهي والنواصي.

٣- الذهاب إلى المساجد التي تنهي الصلاة سريعًا فيصلون العشاء والتراويح في أقل من نصف ساعة، حتى يتفرغوا بعد ذلك للمسلسلات والمقاهي واللهو.

٤- ازدحام الناس على مساجد بعينها وترك المساجد الأخرى خاوية أو شبه خاوية، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليصل الرجل في المسجد الذي يليه ولا يتبع المساجد» (أخرجه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع).

هذا ما يسره الله تعالى تذكرة لنفسي والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

الإتحاف بمسائل الخروج من الاعتكاف

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد أحببت أن أذكر نفسي وإخوتي ببعض مسائل تتعلق بخروج المعتكف من المسجد.

تعريف الاعتكاف:

قال ابن فارس: العين والكاف والفاء أصلٌ صحيح يدل على مقابلة وحبس، يقال: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِف عُكوفاً، وذلك إقبالك على الشيء لا تنصرف عنه (معجم مقاييس اللغة ١٠٨/٤).

والاعتكاف شرعًا: اللبث في المسجد للعبادة على وجه مخصوص بنية مخصوصة.

وسنبدأ أولاً بالمسائل محل الاتفاق ثم بالمسائل محل الخلاف:

المسألة الأولى: خروج المعتكف ببعض بدنه من المسجد:

اتفق الفقهاء علي أن المعتكف إذا أخرج بعض بدنه لم يبطل اعتكافه، ولا يترتب عليه شيء، والأصل في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: "أنها كانت ترجُل شعر النبي (وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفاً". (صحيح البخاري ١٩٤١)، والترجيل تسريح الشعر.

قال ابن دقيق العيد: "وفيه دليل على أن خروج رأس المعتكف من المسجد لا يبطل اعتكافه". (إحكام الأحكام ٢٢٩/٢).

المسألة الثانية: خروج المعتكف بجميع بدنه من المسجد بلا عذر:

اعلم أن المعتكف إذا خرج بجميع بدنه من المسجد يبطل اعتكافه باتفاق الأئمة لمنافاته لركن الاعتكاف.

فقد اتفقوا على أنه لا يجوز للمعتكف الخروج من المسجد إلا لحاجة الإنسان، أو ما هو في معناها مما تدعو إليه الضرورة لما ثبت من حديث عائشة (بداية المجتهد ٢٥٥/١).

وقيَّد الحنفية الخروج المفسد بساعة وهو جزء من الزمان لا جزء من أربع وعشرين جزءاً. وعند الصاحبين: أبي يوسف، ومحمد: يفسد إذا خرج أكثر النهار، أي أكثر من نصف يوم.

المسألة الثالثة: خروج المعتكف من المسجد لأمر لا بد له منه طبعاً أو شرعاً:

وفيها أمور:

الأمر الأول: الخروج لقضاء الحاجة ونحو ذلك:

كالخروج للقيء أو غسل نجاسة؛ فإذا خرج المعتكف من المسجد لما تقدم لم يبطل اعتكافه إجماعاً. وقد حكي الاجماع غير واحد من أهل العلم.

قال الماوردي: "أما خروجه للبول والغائط فجائز إجماعًا؛ لقول عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى البيت إلا لحاجة الإنسان؛ كناية عن الغائط والبول، ولأن ذلك مما به إليه حاجة وضرورة. (الحاوي الكبير١٠٦٧/٣).

ولأن قضاء الحاجة مما لا بد منه ولا يمكن فعله في المسجد فلو بطل الاعتكاف بخروجه لم يصح لأحد اعتكاف.

لكن ذكر أهل العلم أن المعتكف إن طال مكثه بعد حاجته فسد اعتكافه. (فتح القدير٢ /٣٩٦).

وقال النووي: قال أصحابنا إذا خرج لقضاء الحاجة لا يكلف الإسراع بل له المشي علي عادته،........ ولو كثر خروجه للحاجة لعارض يقتضيه كإسهال ونحوه فوجهان حكاهما إمام الحرمين (أصحهما) وهو مقتضي إطلاق الجمهور لا يضره نظرًا إلى جنسه. (المجموع ٥٠٢/٦).

الأمر الثاني: الخروج للطهارة الواجبة:

إذا لم يتمكن المعتكف أن يتطهر الطهارة الواجبة في المسجد فله الخروج لذلك، وهذا لا يبطل الاعتكاف باتفاق الأئمة.

قال ابن هبيرة: "وأجمعوا على أنه يجوز للإنسان الخروج إلى ما لابد منه كحاجة الإنسان والغسل من الجنابة..." (تحفة الفقهاء٢٦٥/١).

وقد تقدمت الأدلة على الخروج لقضاء الحاجة، فكذا يصح الخروج للطهارة الواجبة قياساً كغسل ونحوه.

أما إن أمكنه التطهر في المسجد فهل له الخروج لذلك؟ فالعلماء على قولين:

القول الأول: أنه له الخروج لذلك. وقال بذلك

المالكية، والحنابلة.

واحتجوا بحديث عائشة رضي الله عنها السابق. والوضوء والغسل تابع لحاجة الإنسان.

والقول الثاني: يلزمه أن يتطهر بالمسجد. وقال به الحنفية، والشافعية؛ لأنه خروج لأمر منه بد.

وأجيب: بعدم التسليم، بل هو لأمر ليس منه بد، إذ قد يلحقه ضرر بذلك إذا كان يحتشم من ذلك. والراجح أن للمعتكف الخروج إذا كان يتحرج من الطهارة الواجبة داخل المسجد.

الأمر الثالث: خروج المعتكف من المسجد للأكل والشرب:

فإذا خرج المعتكف من المسجد للأكل والشرب هل يبطل اعتكافه؟ اختلف العلماء رحمهم الله في خروج المعتكف للأكل والشرب على قولين:

القول الأول: أنه إذا خرج المعتكف من المسجد للأكل والشرب يبطل اعتكافه إلا إذا لم يكن هناك من يأتيه به.

وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة.

استدل الجمهور بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٧).

فدلت الآية أن الأصل مكث المعتكف في مسجده، لعدم الحاجة إلى خروجه إذا كان هناك من يأتيه بطعامه.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان كما في حديث عائشة رضي الله عنها، وهذا كناية عن الحدث، فدل ذلك على أنه لا يخرج للأكل والشرب. وهذه الأشغال يمكن قضاؤها في المسجد، ولأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن له مأوى إلا المسجد، وكان يأكل ويشرب ويتحدث (انظر الشرح الكبير ١٣٥/٣، الاختيار ١٣٧/١).

القول الثاني: أنه إذا خرج المعتكف من المسجد للأكل لا يبطل اعتكافه. وأما الشرب فإن كان في المسجد سقاية فلا يجوز له الخروج، وإلا جاز. وهو مذهب الشافعية.

واستدل الشافعية بأن المعتكف له الخروج للأكل؛ لثلاثة معان:

أحدها: أن في أكله في المسجد بذلة وحشمة، وهو مأمور بالصيانة.

والثاني: أنه قد يحتشم من أكله المصلون، فربما دعاهم ذلك إلى الخروج.

والثالث: أنه ربما كان في طعامه قلة فاستحى من إظهاره أو كان يفسد إن أخرج إلى المسجد؛ فلذلك جاز له الخروج إلى منزله للأكل. (انظر الحاوي للماوردي ١٠٦٩/٣).

ويمكن الجمع بين القولين بأن المعتكف إن احتاج إلى الخروج للأكل لعدم من يأتيه به، أو كان يحتشم من الأكل في المسجد لعدم حجرة أو خباء يأكل فيه فله الخروج، وإلا فليس له ذلك. وكذا له الخروج للشرب إن لم يكن في المسجد سقاية، أو لم يكن من يأتيه به.

الأمر الرابع: الخروج لصلاة الجمعة وأثره على الاعتكاف:

إذا كان الاعتكاف في مسجد غير جامع - أي تقام فيه الصلوات دون الجمعة-، وتخلل مدة الاعتكاف جمعة وجب على المعتكف الخروج إلى صلاة الجمعة إذا كان من أهلها، وهذا باتفاق الأئمة؛ لأنها فرض عليه إجماعا.

لكن هل يبطل الاعتكاف بالخروج لصلاة الجمعة؟ قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنه لا يبطل اعتكافه. وهو مذهب الحنفية، والحنابلة، وابن حزم. واستدل الحنفية والحنابلة ومن معهم بأدلة منها:

١- أن الشارع أذن بالاعتكاف في مسجد الجماعة مع إيجاب صلاة الجمعة، فدل ذلك على إذنه للخروج لصلاة الجمعة، وما ترتب على المأذون غير مضمون.

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (سورة الجمعة: ٩).

فدلت هذه الآية على عدم بطلان الاعتكاف بالخروج إلى صلاة الجمعة؛ لأن إيجاب الشارع لها يقتضي استثناؤها من عدم البطلان بالخروج، فهذه فرائض لا يحل تركها للاعتكاف. (انظر المحلى لابن حزم ١٨٨/٥).

٣- حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: "وكان- أي النبي- لا يخرج إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفا" وهذا في معنى حاجة الإنسان. قال ابن نجيم الحنفي: وأما الجمعة فإنها من أهم حوائجه وهي معلومة وقوعها. (البحر الرائق ٣٢٥/٢).

٤- أنه خرج لواجب فلم يبطل اعتكافه، قال ابن قدامة: ولنا أنه خرج لواجب فلم يبطل كالمعتدة تخرج لقضاء العدة وكالخارج لإنقاذ غريق أو إطفاء حريق أو أداء شهادة تعينت عليه. (المغني ١٣١/٣).

القول الثاني: أنه يبطل اعتكافه. وهو مذهب المالكية، والشافعية.

لكن قيده الشافعية فيما إذا كان تطوعاً أو نذراً متتابعا، فإذا كان نذراً غير متتابع لم يبطل بخروجه إلى الجمعة.

واستدل المالكية والشافعية على بطلان الاعتكاف بالخروج إلى الجمعة: بأنه يمكنه الاحتراز من الخروج بأن يعتكف في مسجد جامع. فإذا لم يفعل بطل اعتكافه". (المهذب للشيرازي).

ونوقش: بأنه وإن أمكنه ذلك فلا يلزم منه بطلان اعتكافه بالخروج إلى صلاة الجمعة؛ لإذن الشارع في الاعتكاف في غير مسجد جامع.

الترجيح: الراجح ما ذهب إليه الحنفية والحنابلة من عدم بطلان الاعتكاف بالخروج إلى صلاة الجمعة؛ لقوة الدليل على ذلك في مقابلة مناقشة دليل القول الآخر.

المسألة الرابعة: خروج المعتكف لعذر غير معتاد:

إذا خرج المعتكف من المسجد كالخروج بسبب الخوف على نفسه، أو حريق، وكالخروج لانهدام المسجد، والخروج لأداء أو تحمل شهادة تعين عليه ذلك، ولإقامة حد، أو طلب سلطان، ولمرض شديد يشق معه المقام في المسجد ونحو ذلك.

لكن هل يبطل الاعتكاف بالخروج في هذه الصور؟ اختلف أهل العلم في هذا على أقوال:

القول الأول: أنه لا يبطل اعتكافه. وهو قول الحنابلة؛ لأنه إذا خرج لواجب فهو على اعتكافه ما لم يطل لأنه خروج لا بد منه أشبه بالخروج لحاجة الإنسان (انظر الشرح الكبير ١٣٥/٣).

واحتجوا بحديث عائشة رضي الله عنها السابق فألحقوا الخروج لهذه الأعذار بالخروج لحاجة الإنسان. وبحديث صفية رضي الله عنها: "أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها - أي يصرفها -.. الحديث متفق عليه.

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج معها من المسجد.

القول الثاني: إن خرج باختياره فإنه يبطل الاعتكاف. وإن كان الخروج بغير اختياره كما لو أخرجه الحاكم لدين أو حد لم يبطل. وهذا مذهب المالكية. (انظر حاشية الدسوقي).

وأجيب عنه: أن خروج المعتكف وإن كان باختياره فهو بإيجاب الشارع فلم يبطل الاعتكاف.

القول الثالث: أنه يبطل الاعتكاف بالخروج لأداء الشهادة، إلا إن تعين عليه التحمل والأداء وكان نذراً متتابعاً فلا يبطل، وكذا لا يبطل بالمرض الشديد الذي يشق معه المقام في المسجد، ويبطل باليسير الذي لا يشق معه المقام في المسجد.وهذا مذهب الشافعية. (انظر المجموع ٥٠٢/٦).

القول الرابع: أنه يبطل اعتكافه بالخروج لذلك كله. وهو مذهب الحنفية (انظر حاشية ابن عابدين ٥٤٧/٢).

واستدل الحنفية: بحديث عائشة رضي الله عنها، فدل على أن الخروج المباح إنما هو لحاجة الإنسان من بول أو غائط، وما يتبع ذلك من طهارة واجبة، وكذا الخروج لصلاة الجمعة لإيجاب الشارع لها.

ونوقش هذا الاستدلال: إذا سلم أن قولها رضي الله عنها: "لحاجة الإنسان" محصور بما يحتاجه من بول أو غائط، فأنتم لم تطردوا هذا الأصل فأجزتم الخروج لصلاة الجمعة، وهذه الأعذار في معنى ذلك.

الترجيح: الراجح ما ذهب إليه الحنابلة، وهو عدم بطلان الاعتكاف بالأعذار الطارئة؛ لقوة ما استدلوا به.

المسألة الخامسة: الخروج لقربة من القُرب:

كعيادة مريض، وصلاة جنازة ونحو ذلك. اختلف أهل العلم في هذا علي أقوال:

القول الأول: أنه ليس له ذلك إلا بالشرط، إلا إن تعينت عليه صلاة الجنازة أو تغسيله أو دفنه. وهذا مذهب الحنابلة.

واحتجوا بحديث عائشة رضي الله عنها السابق، وأن الخروج المباح للمعتكف الخروج لقضاء الحاجة، وما في معنى ذلك من الطهارة الواجبة، وصلاة الجمعة ونحو ذلك كما تقدم، دون الخروج لسائر القرب. واحتجوا أيضاً بحديث عائشة، وفيه: "والسنة في المعتكف أن لا يخرج إلا للحاجة التي لا بد منها، ولا يعود مريضاً... ". والأقرب أنه مدرج من كلام الزهري.

القول الثاني: أنه ليس له الخروج إلى ذلك إلا بالشرط، ولو تعين عليه ذلك.

وهذا مذهب الحنفية، والشافعية. أما الحنفية: فلأن الأصل عند أبي حنيفة: أنه لا يخرج المعتكف إلا بحاجة الإنسان من بول وغائط، وما يتبعه من طهارة واجبة، وكذا صلاة الجمعة، لحديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم مناقشته.

وأما الشافعية: فلأنه خروج باختياره فكان مبطلاً، فلم يكن له ذلك إلا بالشرط.

ونوقش هذا التعليل: بأنه إذا تعين عليه ذلك كان من الأعذار الطارئة، وقد تقدم الدليل على الخروج للأعذار الطارئة.

القول الثالث: أن له الخروج إلى ذلك بلا شرط.

وبه قال الحسن البصري وسعيد بن جبير والنخعي، وهو رواية عن الإمام أحمد. واحتجوا بأدلة لم تصح.

القول الرابع: أنه يجب عليه الخروج لعيادة والديه وجنازتهما، ويبطل اعتكافه.

وهو مذهب المالكية؛ لأنه خرج باختياره، ولا يخرج لعيادة أو جنازة غيرهما مطلقاً؛ لعدم تجويزهم الشرط في الاعتكاف.

الترجيح: الراجح جواز الخروج بالشرط لكل قربة لما تقدم من الدليل على ذلك.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.





رمضانُ يجدّد الإيمانَ ويُرسل نسيمَ التقوى

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وبَعْدُ:

فهذه تَذْكِرَةٌ وشذور من كلام صريح فصيح، عزيز وجيز، قليل المباني كثير المعاني أسوقها لِمَنْ شاءَ يتَّخذ من أيَّام رمَضَان ولَيَاليه إلى ربِّه سَبيلاً، وأزُفُّها إليْكُم وأتركها بين يَدَيْكُم، لا تطولُ فتُملُّ السامعين، ولا تنقطعُ وبالنُّفوس ظمأً إلى المزيد، وهي في صَفَحَات قلائل إذْ يَكْفي من القِلادَة ما أحاطَ بالعُنُق، وإنما ينفعُ قليلُ الكلام مَنْ كانَ عاقلاً، وشرُّ القول ما لا يُسمَع، ولا لصَاحبه فيه مُنْتَفَع.

وها هُوَ شَهْرُ رمَضَان يَحْدُو الرِّكاب مُسْرِعًا إليْنَا، ويَحُثُّ المَطايا مُتَعَجِّلاً للقُدُوم علَيْنَا، فهَلْ نَحْن مُسْتَعِدُّون للقائه، وهَلْ يَمَّمْنَا قُلُوبَنا للقائه، ووجَّهْنا وُجُوهَنا تِلْقاءَه.

إنَّ رمضانَ يَنْبَغي أن يَعْمَل في قُلُوبِنا عَمَل الزِّلْزال ويُحْدِث فيها هزَّة إيمانيَّة ليُفيق الغافلُ وينبِّهَ الحالم ويفْزع أهل العرْفان ويُرْدِع أهل الإيمان، وإلا أصبح الحالُ ما حال والأمْرُ ما زال، إنَّ هذه التَّذْكرة لتَجْديد الإيمان في رمَضانَ لا سيَّما إذا بلي وخَلق وذلك لِمَا في رمضَانَ من فضَائل لا تُحْصَى وفوَاضل لا تُنْسَى، عَنْ عَبْد الله بن عَمْرو بن العَاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الإيمانَ ليَخْلَقُ في جَوْف أحَدكُم كما يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فاسْألُوا الله أن يُجَدِّد الإيمان في قُلُوبكم» رواه الحاكم (٤/١) وقال: رواته مصريون ثقات»، ووافقه الذهبي. وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٥٢/١) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن اهـ، وحسّنه الألباني في الصحيحة (١٥٨٥).

وممَا لا رَيْب فيه أنّ العَبْدَ مَعَ تَطاوُل الأيّام يَشْعُرُ بصَدَإ في إيمَانه ونَقْص فيه قدْ لا يكْمُل إلا بمَشَقَة ووَقْص قَد لا يَكْتمل إلا بعُسْر وشدَّة، فالإيمانُ يَبْلَى كمَا يَبْلَى الشَّجَرُ، وربَّمَا غَلَبَ الرانُ على القلب فأغْلقت أبوابُ القَلْب وطُبِعَ عليْه فصَارَ صَاحبُهُ لا يَفْقَهُ ولا يَنْقَهُ فينبَغي أنْ تُدْرِك فُرْصَةُ أيام رمَضَان بأنْ تكونَ مهيأةً لتُجعل مطيَّة للعَبْد في عبادته، وأن تُتَّخذ لياليه جَمَلاً في سَيْر العبْد إلى الله، وتَجْديد إيمانه لا سيَّمَا في أزْمنَة الإيمان ومواسم العبادة وأوقات مُضَاعَفَة الأجُور والليالي العامرة والساعات الفاضلة بالفضَائل، لذا يحتاج العبدُ إلى التأمُّل في مَعَاني الإيمان والنَّظر في مَنازِع



فقْهه كما يَحْتَاجُ إلى أمُور مُهِمَّة لا يَتِمّ بدُونها منْها: إدْرَاكُ قِيمَة الإيمان والشُّعُور بالحَاجَة إليْه، ثم مَحَبَّة ذلكَ والوَلَه به صدْقًا لا ادعاءً.

ورحم الله شيخ الإسلام ابنَ تيميةَ فإنّه كَانَ إذَا أُثْنيَ عَلَيْه في وَجْهه يَقُولُ: «وَاللّه إنّي إلى الآن أُجَدّدُ إسْلاَمي كُلَّ وَقت، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إسْلاَمًا جيّدًا». (مدارج السالكين: ١/٥٢٠ والعقود الدرية: ص ٤٥٠ – ٤٥١).

ولا يَظُنّ أحدٌ أنَّ كلامي هذا تَقْريعٌ وتوبيخٌ أو تَهكم وتَحكّم، فكَمْ من كَلمة فظّة، ولفظَة فيها غلْظَة كانتْ كالدَّوَاء المُرّ الذي يأتي معَهُ الشّفَاء، وتَأتي في إثْره العافيَة بلْ هو تعريفٌ في غيْر تعْنيف، وتنْكيتٌ بغير تبْكيت وتوْقيف؛ وكَلامُ جَاءَ عَلَى قَدَر كي يسُدَّ الخَلَل ويَشْفي العلَل:

أولاً: دفْع الآفات عن الإيمان وقضاء الحاجات منْه:

وهُمَا بمَعْنَى دَفْع الأَغْيَار، وقضَاء الأَوْطار، فدَفْعُ الأَغْيار هو هَجْرُ كلّ ما يَقْطَعُ مَسيرَة الإيمَان، ونَبْذُ ما يُعطلها ويَمْنَع منها أو يُعكّرها، وقضاءُ الأوطار هو أداء صَالحات الأعْمَال، فبسَبَب عدَم دفْع الأغْيار عنْهُ ورَدّ الآفَات وَهَنَتْ أحْوالُ المُسْلمينَ وظَهَر فيهم عَدَمُ الاكْترَاث بأحْوال الإيمَان بيْنَمَا كَانَ السّلَفُ يَقُولُ أحَدُهم لأخيه: «اجلس بنا نُؤمن ساعةً»، كما علّقه البخاريُّ عن مُعَاذ بن جَبَل رضيَ اللّه عنه في أوّل كتاب الإيمَان من صحيحه.

ثانيًا: المُسَارعَةُ بالإيمَان:

قال تعالى: «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (آل عمران: ١٣٣)، وقال صَلّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادرُوا بالأَعْمَال فتَنًا كَقطَع اللَّيْل المُظْلم، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمنًا وَيُمْسي كَافرًا، أَوْ يُمْسي مُؤْمنًا وَيُصْبحُ كَافرًا، يَبيعُ دينَهُ بعَرَض منَ الدُّنْيَا» رواه مسلم (١١٨).

من علم أنّ اليَوْمَ الرِّهَانُ وغداً السّباقُ والجنَّةَ الغايَةُ تخفّف وتَعجّل وسَارَعَ ولَمْ يُؤَجّلْ، وهذا ما يَنْبَغي أن يَكُونَ.

وإذَا فَرحَ المَرْءُ بالدُّنْيا كَدَّرها عليْه سُرْعَة الزَّوَال وسَاعَةُ المَوْت وكَثْرة المُنغّصات، وهَذَا ممّا يَبْعَثُ الهمّةَ لانْتهَاز مُهْلَة العُمْر والاسْتقَاء من بَحْر الإيمَان الفيّاض والاكْتسَاء من ثَوْبه الفضفاض، قَبْلَ أن يَأْتي المَوْت، وبَقيّة عُمر المؤْمن لا ثَمَنَ لها، يُدْرك بها مَا مَضَى وفات، ويُحْيي بها ما ذَهب ومَات، ومع تَرادُف الأيَّام وتطاوُل الأعْوَام فالمَوْتُ متربّصٌ بابن آدمَ يخْطفُه على غرّة في أيّ لحظَة.

إنّ الاجْتهَادَ في أيّام رَمَضَانَ يَجْعلُ للعَبْد في التّقْوى والإيمان القدَمَ الرّاسخ إذْ إنّه يَطْوي منْ مفاوز العَمَل فَراسخ، فيُسْفر له الإيمانُ عَنْ قناعه ويَفُوزُ العَامل باطلاعه.

ثالثًا: تَجْديدُ النَّوايا والأعْمَال:

وهَذَا أمرٌ يَضيقُ عنْدَ ذكْره الصّدرُ، ولاَ يَكادُ يَنْطَلقُ اللّسَانُ إلا الفَيْنَة بَعْدَ الفَيْنَة، إذ الغَفْلَة والشُّغْلة عَنْهُ زَائدةٌ جعلَت القُلُوبَ عَنْهَا ذَاهلَةً، وعَنْ طَريقها حَائدَةً، مَعَ أنّ المؤْمنَ يَحْتَاجُ ليثْبُتَ عَلَى إيمانه أنْ يُجدّد النيّةَ مع كل عَمَل بَلْ يُجَدّدُها في خلال العمَل الواحد ليحافظ على خُلُوصها من الدّواخل والعَوَارض وهذا



التَّجْديد في النيَّة والعَمَل يبْعثُ النَّشاطَ ويقتل الكسلَ كما قال القائل:

وحينئذ تَنْجذبُ النفسُ للعَمل ويَجْتَمع الحسُّ ويَجُولُ الفكر في المَعاني اللطيفة والخواطر الشَّريفة، أمَا الرَّتابَة من غيْر فكْر في العمل ورويَّة فيه فتجْعل العمل الصالحَ مَمْلولاً ويَكونُ ممَّا أهَانَه الاسْتعْمال وأذَالَهُ الابْتذال، فنوعْ عَملَك وجدِّدْ نشَاطكَ فإذا فتَرْتَ فارْقدْ وإذا تعبْتَ فاسْترحْ، وصَلِّ حينًا واتْلُ القرآنَ حينًا، واشْتغلْ بالذِّكر حينًا، وأعملْ التَّفكُّر حينًا، واستَغْفرْ من تَقْصيركَ حينًا، وعاتبْ نفْسَكَ وحاسبْها حينًا، ثُمَ انظرْ إلى الإيمان في قلبكَ بَعْد ذلكَ فسَتجدهُ يزْكو كزَرْعٍ سُقيَ بماءٍ فنَبَتَ واخْضَرَ وآتَى أكلَهُ.

رابعاً: النَظرُ في عَواقب الإيمان:

قال تعالى: «قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» (آل عمران: ١٣٧)، وهَذا الأمْرُ من أحقِّ وأوْلى ما وَقَعَ عليْه الاخْتيَارُ، وأجَلُّ وأعْلى مَا اسْتَحقَّ التَّقْديمَ والإيثَارَ، إذْ إنَّه لا ينْبَغي الإقدامُ على أمر قبل النظر في عاقبته فإنَّ النظرَ في العواقب خيرٌ من النَّدم بَعْد الفوَات ومَنْ تأمَّلَ العَواقبَ كانتْ خُطُواتُه مُسَدَّدَة وأعْمالُه مُؤيَدَة.

لقدْ بُليَتْ هذه الأجيالُ المتأخرةُ- زَمَنًا وحَالاً والخَفيفَة وَزْنًا ومَعْنًى- بعَدم النَّظر في المآلات فلَمْ يَنْظُروا إلى جَنَّة عَرْضُها السَّماوَاتُ والأرضُ كما كانَ الصَّحَابة ينظرون.

عَنْ عَمْرو بن دينار أنَّه سَمِعَ جابرًا، يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُد: أيْنَ أنَا يَا رَسُولَ اللّه إنْ قُتلْتُ؟ قَالَ: «في الْجَنَّة»، فَأَلْقَى تَمَرَات كُنَّ في يَده، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتلَ. رواه مسلم (١٨٩٩).

لَقَد استطابَتْ أجيالُنا الحياةَ الدنيا وكأنَّهم أعْجَبَهم زوالُها وتقاتلوا على الدُّنيا وفارقُوا الطَّاعة والرَّشاد وتَهالَكُوا على الشَّهوات تَهالُكَهم على اليوم الموعُود ووَرَدُوا حياضَ الملذَّات أيَّما وُرود فبئْسَ الوِرْدُ المَوْرُود.

خامساً: نية التجارة بالأعمال الصالحة لتحصيل الأجور:

من سنَّة اللّه الجَاريَة في خلقه أنَّ العُمَّال يعمَلُون وهم يَنْتَظرُون الأجُورَ ويُؤَمِّلُون الجَائزَة عَلى ذَلكَ ولو لَمْ يكنْ هذا الأمرُ جبلَّة وفطْرَة في العباد ما عَملَ عَاملٌ ولا جَدَّ مُجدٌ ولا اجْتَهَدَ مُجْتَهدٌ، إنَ المرءَ من أجْل عَطاءٍ لا يتأخَّر ولو رَكبَ من الأمْر نُكرًا وافْتَضَّ بَحْرًا بكرًا ويَسْلُكُ مَهاويَ المَهالكِ ومَعَاطنَ المَعاطب.

وهذا الأمْرُ لَوْ حَسُنَ الأخْذُ به وأُجيدَ استعْمَالُه سيَرْبَحُ المؤمنُ منْ ورَائه حَسَنات وسَيَجْمَعُ من جرَّائه أعْدادًا منها جَزيلاتٍ لاَ تَقُومُ لها سَيِّئاتُه ولَوْ كَانَتْ مثْلَ زَبَد البَحْر أو كَانَتْ كأمْثَال الجبال فـ«إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» (هود: ١١٤). ومَنْ نَوى التِّجارة مع ذلك نقَّبَ عن الأعْمَال ذَوات الأجُور العَاليَة والثَّواب المُضَاعَف منها كتلاوَة القُرآن وقَوْل سُبْحَان وَبحَمْده سُبْحَانَ اللّه العَظيمَ وقَوْل سُبْحَانَ اللّه وَبحَمْده وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصوم وأثره في تزكية النفوس وتهذيب السلوك

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن من مقاصد العبادات وأهدافها في الإسلام، تزكية النفوس وتهذيب السلوك، وعبادة الصوم بما حَوَت من أسرار وحِكَم تأتي في طليعة العبادات في هذا الباب، فالصوم لم يَنظُر إليه الشرع على أنه حرمان مؤقت من الطعام والشراب، بل اعتبره خطوة على طريق تربية النفس وتدريبها على الطاعة والامتثال، وتطهيرها من شهواتها المحظورة، ونزواتها المنكورة، وقد أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأكد عندما قال: (ليسَ الصيامُ منَ الأكْلِ والشرْبِ، إنَّما الصيامُ منَ اللغوِ والرفَثِ) (صحيح الجامع: (٥٣٧٦))

إن الصوم عبادة روحية سامية، تربي في المؤمن القدرة على التحرر من العادات اليومية المألوفة، وتُعلمُه الصبر وقوة الإرادة والعزيمة، وتغرس في نفسه سلوك المراقبة، والإخلاص، والجود، والبذل والكرم.. إنه تجديد للعهد والعودة والإقبال على الله.

أولاً: أثر الصوم في حفظ الجوارح وصيانتها من الوقوع في الآثام والمنكرات:

فالصوم الحقيقي الذي يحقق تزكية النفس ويسمو بها في مدارج السعادة والرضا؛ هو صوم الجوارح عما يغضب الله ويسخطه، قال ابن القيم- رحمه الله-: «والصَّائمُ هُوَ الَّذي صامَت جَوارحُهُ عَن الآثام، ولِسانُهُ عَن الكَذِبِ والفُحش وقَول الزُّور، وبَطنُهُ عَن الطَّعام والشَّراب، وفَرجُهُ عَن الرَّفَث؛ فإن تَكلَّمَ لَم يَتَكلَّم بمَا يَجرَحُ صَومَهُ، وإن فَعَلَ لَم يَفعَل مَا يُفسدُ صَومَهُ، فَيَخرُجُ كلامُهُ كُلُّهُ نافعًا صالحًا، وكذلك أعمالُهُ، فَهي بمَنزلَة الرَّائحَة الَّتي يَشُمُّها مَن جالَسَ حامل المسك، كذَلكَ مَن جالَسَ الصَّائمَ انتَفَعَ بمُجالَسَته، وأَمنَ فيها من الزُّور والكَذب والفُجُور والظُّلم، هَذا هُو الصَّومُ المَشرُوعُ لا مُجَرَّدَ الإمسَاك عَن الطَّعام والشَّراب...فَالصَّومُ هو صَومُ الجَوارح عَنَ الآثام، وصَومُ البَطن عَن الشَّراب والطَّعام؛ فكَمَا أنَّ الطَّعامَ والشَّرابَ يَقطَعُهُ ويُفسدُهُ، فَهكَذَا الآثامُ تَقطَعُ ثَوابَهُ، وتُفسدُ ثَمرَتَهُ، فتُصَيِّرُهُ



بِمَنزِلَة مَن لَم يَصُم»(الوابل الصيب (٥٧-٥٨))

وهذه الحقيقةُ فَقهَها سَلَفُ هذه الأمَّة من الصَّحابَة والتَّابعينَ والأئمَّة المَرضيِّينَ فَصانُوا صيامَهُم ونَهارَهُم وليلَهُم من اللَّهو والرَّفث والفُسوق. فَعَن جَابر بن عَبد الله الأنصاريِّ قال: «إذَا صُمتَ فَليَصُم سَمعُكَ وبَصَرُكَ ولسانُكَ عَن الكَذب والمَحارم، ودَع أذَى الجار، وليَكُن عَليكَ وَقارٌ وسَكينَةٌ يَومَ صَومكَ، ولا تَجعَل يَومَ فطركَ ويَومَ صَومكَ سَوَاءً»(شعب الإيمان:٣٣٤٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لمْ يَدعْ قولَ الزور والعملَ به، فليسَ لله حاجةٌ في أن يَدعَ طعامَهُ وشرابَهُ) (البخاري (١٩٠٣)).

قال المهلب: « فيه دليل أنّ حكم الصيام الإمساك عن الرفث، وقول الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك؛ فقد تنقص صيامه، وتعرض لسخط ربِّه، وترك قبوله منه « ((شرح البخاري٤/٢٣)).

وعَن حَفصَة بنت سيرين- رَحمَها الله - قالت: «الصِّيَامُ جُنَّة ما لَم يَخرقها صاحبُها، وخَرقُها الغيبَة» (عبد الرَّزَّاق في «المصنَّف» (٧٨٩٥)).

وعَن أبي العاليَة رحمه الله قال: «الصَّائمُ في عبادَة ما لَم يَغتَب أحَدًا، وإن كانَ نائمًا عَلى فراشه» (عبد الرَّزَّاق في «المصنَّف» (٧٨٩٥)).

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: «إن هذه المعاصي يزيد قبحها في الصيام على غيرها، وإنها تخدش في سلامة الصيام، بل ربما اقتضت عدم الثواب عليه».

ثانيا: الصوم يروض النفس ويهذبها، ويضيق على الشيطان مسالكه

ولبيان المقصود من الصيام ومنافعه شرعًا وعَقلا وطبًا، يقول ابن القيم رحمه الله: «لَمَّا كَانَ المَقصُودُ منَ الصِّيَام حَبسَ النَّفس عَن الشَّهَوَات، وَفطَامَهَا عَن المَألُوفَات، وَتَعديلَ قُوَّتهَا الشَّهوَانيَّة، لتَستَعدَّ لطَلَب مَا فيه غَايَةُ سَعَادَتهَا وَنَعيمهَا، وَقَبُول مَا تَزكُو به ممَّا فيه حَيَاتُهَا الأبَديَّة، وَيَكسرُ الجُوعُ وَالظَّمأُ منْ حدَّتهَا وَسَوْرَتهَا، وَيُذَكِّرُهَا بحَال الأكْبَاد الجَائعَة منَ المَسَاكين. وَتُضَيِّقُ مَجَاري الشَّيْطَان منَ العَبْد بتَضْييق مَجَاري الطَّعَام وَالشَّرَاب، وَتُحبَسُ قُوَى الأعْضَاء عَن اسْترْسَالهَا لحُكْم الطَّبيعَة فيمَا يَضُرُّهَا في مَعَاشهَا وَمَعَادهَا، وَيُسَكِّنُ كُلَّ عُضو منْهَا وَكُلَّ قُوَّة عَنْ جمَاحه وَتُلْجَمُ بلجَامه، فَهُوَ لجَامُ المُتَّقينَ، وَجُنَّةُ المُحَاربينَ، وَريَاضَةُ الأبْرَار وَالمُقَرَّبينَ، وَهُوَ لرَبِّ العَالَمينَ منْ بَيْن سَائر الأعْمَال، فَإنَّ الصَّائمَ لا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ منْ أجْل مَعْبُوده، فَهُوَ تَرْكُ مَحْبُوبَات النَّفْس وَتَلَذُّذَاتهَا إيثَارًا لمَحَبَّة الله وَمَرْضَاته، وَهُوَ سرٌّ بَيْنَ العَبْد وَرَبّه لا يَطَّلعُ عَلَيْه سوَاهُ، وَالعبَادُ قَدْ يَطَّلعُونَ منْهُ عَلَى تَرْك المُفْطرَات الظَّاهرَة، وَأمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ منْ أجْل مَعْبُوده، فَهُوَ أمْرٌ لا يَطَّلعُ عَلَيْه بَشَرٌ، وَذَلكَ حَقيقَةُ الصَّوْم.

ثالثا: من بركة الصوم أنه يحفظ على الجوارح صحتها

«وَللصَّوْم تَأثيرٌ عَجيبٌ في حفْظ الجَوَارح الظَّاهرَة، وَالقُوَى البَاطنَة، وَحميَتهَا عَن التَّخْليط الجَالب لَهَا المَوَادَّ الفَاسدَةَ؛ الَّتي إذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أفْسَدَتْهَا، وَاسْتفْرَاغ المَوَادّ الرَّديئَة المَانعَة لَهَا منْ صحَّتهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى القَلْب وَالجَوَارح صحَّتَهَا، وَيُعيدُ إلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ منْهَا أيْدي الشَّهَوَات، فَهُوَ منْ أكْبَر العَوْن عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البَقَرَة ١٨٣). وَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: (الصَّوْمُ جُنَّةٌ). وَأمَرَ مَن اشْتَدَّتْ عَلَيْه شَهْوَةُ النّكَاح وَلا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْه بالصّيَام، وَجَعَلَهُ وجَاءَ هَذه الشَّهْوَة. وَالمَقْصُودُ أنَّ مَصَالحَ الصَّوْم لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بالعُقُول السَّليمَة وَالفطَر المُسْتَقيمَة، شَرَعَهُ اللهُ لعبَاده رَحْمَةً بهمْ، وَإحْسَانًا إلَيْهمْ وَحمْيَةً لَهُمْ وَجُنَّةً.

وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ، وَأَعْظَمَ تَحْصِيلٍ لِلْمَقْصُودِ، وَأَسْهَلَهُ عَلَى النُّفُوسِ.

وَلَمَّا كَانَ فَطْمُ النُّفُوسِ عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، مِنْ أَشَقِّ الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا، تَأَخَّرَ فَرْضُهُ إِلَى وَسَطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا تَوَطَّنَتِ النُّفُوسُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ، وَأَلِفَتْ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ، فَنُقِلَتْ إِلَيْهِ بِالتَّدْرِيجِ. (زاد المعاد: ٢/ ٢٨).

رابعا: الصوم يربي في النفس سلوك المراقبة والخوف من الله تبارك وتعالى

فالصوم يربي في النفس ويعمق فيها سلوك «المراقبة» لله تعالى، وهذا السلوك الإيماني إذا ساد مجتمعا وصار منهجًا عامًا بين أفراده، فإنه ييسر لهم حياة مباركة طيبة، ويكفل لهم الأمن، ويضمن لهم الاستقرار، ويقودهم إلى أقوم طريق، وأهدى سبيل.

ويوضح أثر هذا السلوك الراقي على المجتمع الشيخ رشيد رضا، فيقول- رحمه الله-: « وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة،- أعظمها شأنا، وأنصعها برهانا وأظهرها أثرًا، وأعلاها خطرًا- شرفًا- أنه أمر موكول إلى نفس الصائم، لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وسر بين العبد وربه، لا يشرف عليه أحدٌ غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته، التي تعرض له في عامة الأوقات، لمجرد الامتثال لأمر ربه، والخضوع لإرشاد دينه، مدة شهر كامل في السنة، ملاحظا عند عروض كل رغيبة له- من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وغير ذلك كَزِينَة زوجة، أو جمالها الداعي إلى ملابستها- أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له؛ لما صبر عن تناولها، وهو في أشد التوق لها؛ لا جَرَم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل، ملكة «المراقبة» لله تعالى، والحياء منه سبحانه، أن يراه حيث نهاه، وفي هذه «المراقبة» من كمال الإيمان بالله تعالى، والاستغراق في تعظيمه وتقديسه، أكبرُ مُعِدٍ للنفوس ومُؤهِلٍ لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة.

خامسا: مراقبة الله وأثرها في سعادة المجتمع

وكما تؤهل هذه "المراقبة" النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة، تؤهلها لسعادة الدنيا أيضا، انظر هل يُقدِمُ من تلابس هذه "المراقبة" قلبه، على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يَسهُل عليه أن يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة، وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ هل يحتال على أكل الربا؟ هل يقترف المنكرات جهارا؟ هل يجترح السيئات، ويُسدلُ بينه وبين الله ستارا؟ كلا. إن صاحب هذه "المراقبة" لا يسترسل في المعاصي، إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى، وإذا نسي وألَمّ بشيء منها؛ يكون سريع التذكر، قريب الفَيْء والرجوع بالتوبة الصحيحة ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١) فالصيام أعظم مُرَبٍّ للإرادة، وكابح لجماح الأهواء، فأجدر بالصائم أن يكون حرًا، يعمل ما يعتقد أنه خير، لا عبدا للشهوات. إنما روح الصوم وسره في هذا القصد.

والملاحظة؛ التي تُحدثُ هذه "المراقبة"، وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى، وقد لاحظه من أوجب من الأئمة "تبييت النية" في كل ليلة، ويؤيد هذا ما ورد من الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه..)" (البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠))، قالوا: أي من الصغائر، وقد يكون الغفران للكبائر مع التوبة منها؛ لأن الصائم إيمانا واحتسابا، يكون من التائبين عما اقترفه فيما قبل الصوم، وقوله في الحديث القدسي: (كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ لَه إلَّا الصَّومَ، فإنَّهُ لي وأنا أجزي به) (البخاري (٥٩٢٧)) وفي رواية (يدَعُ شهوَتَه وطَعامَه من أجلي...) (البخاري (١٩٠٤)) (تفسير المنار (٢/ ١١٧)).

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وتقبل الله منا ومنكم، والحمد لله رب العالمين.



القرآن في رمضان؛ لماذا؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد أنزل الله عزَّ وجلَّ القرآن هدايةً للبشر إلى طريقه المستقيم، ولهذا ففي القرآن نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحُكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه تجبرًا وإعراضًا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا يمله الأتقياء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا» (الجن: ١)، من قال به صدق، ومن حكَم به عَدَلَ، ومن عمل به أُجِرَ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم، وكان له عند الله الفوز العظيم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كتاب الله عز وجل، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة» (صحيح مسلم ح٢٤٠٨).


إعداد جمال عبد الرحمن

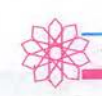
لماذا اشتهر رمضان بشهر القرآن؟

شهر رمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) (البقرة: ١٨٥).

فأول نزول للوحي على الراجح من أقوال أهل العلم- كان في رمضان، فكان أول ما تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام قوله تعالى: « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » (العلق: ١)، وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدةً في ليلة القدر في شهر رمضان، فجُعِل في سماء الدنيا.

وكان جبريل يُدارس فيه رسول الله القرآن، فالحديث عن القرآن في رمضان له مناسبته وله خصوصيته.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاس قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أجودَ



مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (رواه البخاري: ١٨٠٣).

وفي رواية عن أبي هريرة وفاطمة رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ. (رواه البخاري: ٣٠٤٨).

ومعنى يعارضه؛ أي: كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن؛ من المعارضة، وهي: المقابلة، ومنه عارضت الكتاب بالكتاب، أي: قابلته به.

واشتهار شهر رمضان بالقرآن يدل على فضله من بين الشهور، كما أن الأمر يقتضي كثرة التلاوة فيه.

وفضل الإكثار من تلاوة القرآن ومدارسته عظيم عند الله تعالى في رمضان في بيوت الله خاصة، وفي غيرها عامة، بعدما عرفنا أن جبريل عليه السلام كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل رمضان.

قال الله عز وجل: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (النور:٣٦-٣٨).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (صحيح مسلم: ٢٦٩٩).

لماذا أنزل الله تعالى القرآن؟

أنزل الله تعالى القرآن للتفكر والتدبر، وتشغيل العقل والتذكر، والعمل بما يُذكر.

قال تعالى: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» (سورة ص/٢٩)؛ فانظروا كيف حثّ الله خلقه على أن يتدبّروا كلامه، ومن تدبّر كلامه عرف الربّ عزّ وجلّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فعمل بالأمر والنهي. ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه إليه من غيره، كان القرآن له شفاءً، فاستغنى بلا مال، وعزَّ بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره.

وهل يجوز أخذُ القرآن بلا تدبر؟

لا شك أن تلاوة القرآن المجردة ولو بدون تدبر أو مع جهل معانيه يؤجر عليها صاحبها، خاصة أجر التلاوة والقراءة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ حرفًا في كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها...» الحديث، أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود، وصححه الألباني.

لكن لا ينبغي أن تكون حياة المؤمن كلها هكذا بدون تدبر على الأقل في أكثر القرآن؛ لأن القرآن منهج حياة وعمل وسبيل سعادة الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا».. وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟» فهذه الأقفال تحول بين القلوب وبين القرآن والنور؟ فإن انغلاق القلوب كانغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور.

من عجائب بركات التدبر:

قصة توبة الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله إذ كان شاطرًا (منحرفًا) يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليًا يتلو قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ»؛ فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن، فرجع. (نزهة الفضلاء ٢/٦٠٠).



فرحم الله الفضيل بن عياض، قادته آيةٌ من كتاب الله إلى طريق الرشاد وجعلته من عباد الله المتألهين ومن العلماء العاملين، فهل نتأثر بالقرآن ونحن نقرؤه ونسمعه كثيراً في هذه الأيام؟!

ومن بركات التدبر أيضًا ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه شرب ماء مبردًا فبكى، فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» (سبأ: ٥٤)؛ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا مثل شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل عنهم: « أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» (الأعراف: ٥٠).

وعن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ: « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» (الحديد: ١٦) بكى حتى يغلبه البكاء جداً. (صفة الصفوة: ١/ ٢٢٠).

رحم الله ابنَ عمر رحمة واسعة؛ فقد أنار الله بصيرته بالقرآن؛ فكان إذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كل خير تقسمه الغداة، من نور تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزق تبسطه، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها. (صفة الصفوة: ١/ ٢٢٠).

شهر رمضان أفضل الشهور:

ولأن شهر رمضان هو أفضل الشهور فكان مناسبًا أن يتنزل فيه خير كتاب، وقد جاءت أفضلية شهر رمضان من طرائق شتى:

- فهو الشهر الذي فرض الله صيامه، فقال سبحانه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة:١٨٣).

فمن صامه وقامه إيماناً بموعود الله، واحتساباً للأجر والثواب عند الله، غفر له ما تقدم من ذنبه، كما في الصحيح.



- وهو شهر العتق من النار، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم: (وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة). رواه الترمذي.

وفيه تُفتَّح أبواب الجنان وتُغلَق أبواب النيران، وتُصفَّد الشياطين، ففي الحديث المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)، وفي لفظ: (وسلسلت الشياطين)، أي أنهم يُجعلون في الأصفاد والسلاسل، فلا يَصلُونَ في رمضان إلى ما كانوا يصلون إليه في غيره. وكما سبق فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن.

نسأل الله أن يتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال، وأن يتوب علينا توبة نصوحًا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



قصة الصيحة في شهر رمضان

الحلقة (٢١٥)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَتْ صَيْحَةٌ فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ تَكُونُ مَعْمَعَةٌ فِي شَوَّالٍ، وَتَمَيُّزُ الْقَبَائِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، وَمَا الْمُحَرَّمُ؟ يَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يُقْتَلُ النَّاسُ فِيهِ هَرْجًا هَرْجًا. قُلْنَا: وَمَا الصَّيْحَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ جُمُعَةٌ تَكُونُ هَدَّةٌ تُوقِظُ النَّائِمَ، وَتُقْعِدُ الْقَائِمَ، وَتُخْرِجُ الْعَوَاتِقَ مِنْ خُدُورِهِنَّ فِي لَيْلَةِ الجمعة في سنة كثيرة الزلازل في البرد فإذا وافق شهر رمضان في تلك السنة ليلة جُمُعَةٍ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ فَادْخُلُوا بُيُوتَكُمْ، وَأَغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، وَسُدُّوا كُوَاكُمْ، وَدَثِّرُوا أَنْفُسَكُمْ، وَسُدُّوا آذَانَكُمْ فَإِذَا أَحْسَسْتُمْ بِالصَّيْحَةِ فَخِرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، وَقُولُوا سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ، رَبُّنَا الْقُدُّوسُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَهْلِكْ».

١- هذا الخبر الذي جاءت به القصة أخرجه أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ) في كتاب «الفتن» (ح٦١٩)- ط دار الكتب العلمية- لبنان، قال: حدثنا أبو عمر، عن ابن لهيعة، قال: حدَّثني عبدُ الوهابِ بنُ حسينٍ، عن محمدِ بنِ البُنانيِّ، عن أبيه، عن الحارثِ الهمدانيِّ، عن ابن مسعودٍ، رضي اللهُ عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانت صَيْحَةٌ في رمضانَ...» الحديث.

٢- وأخرجه أبو سعيد الهيثم الشاشي (المتوفى: ٣٣٥هـ) في «مسنده» (ح٨٣٧)- ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- قال: «حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الحسنِ حدَّثنا نُعيمُ بنُ حمادٍ به».

ثانياً: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية «قصة الصيحة في رمضان» مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: نعيم بن حماد، ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١٠٢/٢٦٧/٤)، ثم أورد أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

قال النسائي: ضعيف، قد كثر تفرُّده عن الأئمة فصار في حدِّ مَن لا يُحتج به.

قال الأزدي: «كان نعيم ممن يضع الحديث في تقوية السنة وحكاية مزورة في ثلب النعمان كلها كذب». اهـ.

لذلك قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»

(٥٩٦/١٠): «لا يجوز لأحد أن يحتج به». وقد تتبع الذهبي كثيرًا من أوهامه في «السير». اهـ.

وسُئل عنه يحيى بن معين فقال: «ليس الحديث بشيء». كذا في «التهذيب» (٤١١/١٠)، ونقل الحافظ ابن حجر: «أن عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها». قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٥٨٩): «ضعيف». ونقل في «التهذيب» (٤١١/١٠) ونقل الحافظ ابن حجر «أن عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها»، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٥٨٩): «ضعيف». ونقل في «التهذيب» (٤١١/١٠) عنه أنه قال في موضع آخر: «ليس بثقة». اهـ.

العلة الثانية: أبو عمر شيخ نعيم بن حماد، وهو أبو عمر الصفار كما تبين لنا:

١- من قول نعيم بن حماد في الحديث رقم (٩٧): «حدثنا أبو عمر الصفار عن أبي التياح...».

٢- ومن قوله في الحديث رقم (٣٦٢): «حدثنا أبو عمر الصفار عن أبي التياح...».

٣- ومن قوله في الحديث رقم (١٤٤٦): «حدثنا أبو عمر الصفار عن أبي التياح...».

وبهذا قد ثبت أن شيخ نعيم بن حماد هو أبو عمر الصفار الذي روى عن أبي التياح.

٤- ويزيد هذا الإثبات تأكيدًا ما ذكره الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٤٧٣/١٩٩/٥) حيث قال: «حماد بن واقد العيشي، أبو عمر الصفار البصري، روى عن أبي التياح الضعبي وآخرين».

٥- ثم نقل الإمام المزي أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، فقال عباس الدوريُّ، عن يحيى بن معين: ضعيف، وقال عمرو بن علي: كثير الخطأ، كثير الوهم، ليس ممن يروي عنه. اهـ.

٦- وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير (٢٨/١/٢): حماد بن واقد أبو عمر الصفار «العيشي، منكر الحديث، عن أبي التياح وإسرائيل، هو البصري. اهـ.

٧- قلتُ: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه، فقد قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «وكذلك قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين»، ففي «الميزان» للحافظ الذهبي (٥/١) «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل ما قلت فيه: «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

العلة الثالثة: ابن لهيعة وهو: عبد الله بن لهيعة:

١- أورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤٥٣٠/٤٧٥/٢)، ثم ذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، فنقل أن ابن معين قال: «ضعيف لا يحتج به»، والحميدي، عن يحيى بن سعيد، «أنه كان لا يراه شيئًا»، ولابن المديني عن ابن مهدي قال: «لا أحمل عنه ابن لهيعة شيئًا»، وقال الجوزجاني: «لا نورث على حديثه، ولا ينبغي أن يحتج به»، وقال ابن معين أيضًا: «هو ضعيف قبل أن تحترق كتبه وبعد احتراقها».

٢- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٢/٢): «كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأربع سنين، وكان أصحابنا يقولون: إن سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة، فسماعهم صحيح ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء». اهـ.

ثم قال الإمام ابن حبان: «قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا، فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفاء عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات بهم». اهـ.

العلة الرابعة: عبد الوهاب بن حسين:

قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٠٣/٤) (٥٣٦٨/١٠١٧): «عبد الوهاب» بن حسين عن محمد بن ثابت وعنه ابن لهيعة أخرج له الحاكم في كتاب الأهوال من المستدرك حديثًا وقال: أخرجته تعجبًا، وعبد الوهاب مجهول، قال الذهبي في تلخيصه: قلت: هذا الخبر موضوع. انتهى.

العلة الخامسة: محمد بن ثابت البناني:

قال الإمام البخاري في التاريخ الكبير (١/١/٥٠): محمد بن ثابت بن أسلم البناني فيه نظر. اهـ.

فائدة:

١- قال السيوطي في «التدريب» (٤٣٩/١): «البخاري يطلق: (فيه نظر، وسكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه». اهـ.

٢- وقال الحافظ ابن كثير في اختصار علوم الحديث (ص٨٨): «البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه»، أو: «فيه نظر»، فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، لكنه لطيف العبارة في التجريح، فليُعلم ذلك». اهـ.

٣- قال الحافظ الذهبي في (الموقظة) (ص٨٣): ثم نحن نفتقر إلى تحرير عبارات التعديل والجرح، وما بين ذلك من العبارات المتجاذبة، ثم أهم من ذلك، أن نعلم بالاستقراء التام عُرف ذلك الإمام الجهبذ، واصطلاحه، ومقاصده، بعباراته الكثيرة، أما قول البخاري: «سكتوا عنه»، فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقاصده بها بالاستقراء، أنها بمعنى: «تركوه». وكذا عادته إذا قال: «فيه نظر»، بمعنى أنه: «متهم»، أو «ليس بثقة»، فهو عنده أسوأ حالاً من «الضعيف». اهـ.

العلة السادسة: الحارث الهمداني:

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٦٢٧/٤٣٥/١): «الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، روى عن ابن مسعود، وروى مغيرة عن الشعبي: حدثني الحارث الأعور وكان كذابًا، وقال منصور عن إبراهيم: إن الحارث اتهم، وروى أبو بكر بن عياش عن مغيرة قال: لم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث، وقال ابن المديني: كذاب، وقال جرير ابن عبد الحميد: كان زيفًا، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، وقال مفصل بن مهلهل عن مغيرة سمع الشعبي يقول: حدثني الحارث وأشهد أنه أحد الكذابين، وروى محمد بن شيبة الضبي، عن أبي إسحاق، قال: زعم الحارث الأعور وكان كذابًا، وقال ابن حبان: كان الحارث غاليًا في التشيع، واهيًا في الحديث». اهـ.

ثالثًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة سنده مسلسل بالكذابين والوضاعين والمجهولين، ومن ليس بشيء، ومن ليس بثقة، ومن هو كثير الخطأ ومنكر الحديث، ولا تحل الرواية عنه، وبهذا يصبح الخبر موضوعًا والقصة واهية. اهـ.

رابعا: تحذير:

١- لقد حذرنا من قبل من مثل هذه القصص الواهية خاصة في شهر رمضان، وكذلك الأحاديث المنكرة والموضوعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

٢- وإن سولت له نفسه رواية القصص الموضوعة والضعيفة بحجة أنها في الفضائل، وهي حجة داحضة، وحسبك في دحضها قول الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب» (ص٢٦): «ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام، أو في الفضائل؛ إذ الكلُّ شرْعٌ». اهـ.

٣- ولينظر دعاة السنة إلى ما أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٧/٤) في ترجمة سروح أبي شهاب نقلاً عن ابن أبي حاتم قال: «سألت أبي عن سروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى توبة من حديث باطل رواه عن الثوري».

قال الذهبي: «إي والله، هذا هو الحق، وإن كل من روى حديثًا يعلم أنه غير صحيح فعليه التوبة أو يهتكه». اهـ.

٤- قلت: ولا عجب، فكيف لا يتوب؟ واعلم أنه لا يستهين بهذا الكلام إلا جاهل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) من حديث سلمة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار». هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من راء القصد.



رمضان شهر التوبة

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعدُ:

فإن من أعظم نعم الله على عباده أن فتح لهم باب التوبة مهما أسرفوا على أنفسهم من المعاصي والسيئات بفعل المحرمات وترك الواجبات.

واختار لهم من الأزمان مواسم للطاعات، وإنَّ من أجلّ هذه المناسبات زمنًا، وأعظمها قدرًا، وأبعدها أثرًا- هذه المنحة الربانية والفرصة التي ربما لا تعود- شهر رمضان، فيه مضاعفة الحسنات ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والسيئات، وإقالة العثرات، قال صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفِّرات لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر». (صحيح الجامع: ٣٨٧٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر، فقال: «آمين، آمين، آمين». قيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: «آمين، آمين، آمين». فقال: «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدركَ شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين». (صحيح الترغيب: ٩٩٧).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له». (صحيح الجامع: ٣٥١٠).

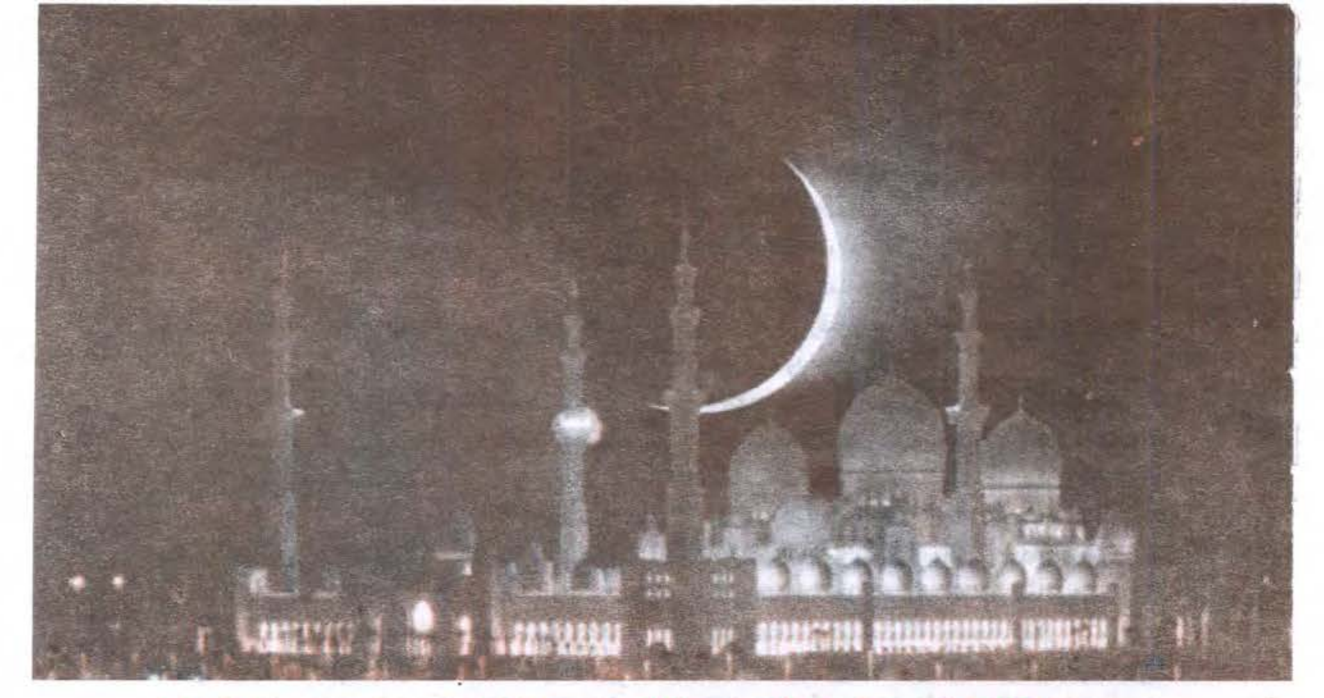
لقد توهم أناس في أمر الذنب إذ لم يروا تأثيره في الحال، وقد يتأخر تأثيره فينسون أنه من الذنب، ولم يعلم المغتر أن عقوبة الذنب تحل ولو بعد حين، قال الله تعالى: «مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (النساء:١٢٣)، وإن من الحكم المأثورة الجارية مجرى الأمثال قولهم: «إن الله يُمهِل ولا يُهمِل». ولقد قص الله علينا قصص الذين اغتروا بإمهال الله لهم فتمردوا وعصوا مغترين بقوتهم حتى قال قوم عاد: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ» (فصلت:١٥، ١٦).

وفائدة إمهال الله الخلق وإعطائهم مهلة يمكن أن يتذكر فيها من يتذكر إقامة الحجة عليهم والإعذار إليهم، «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» (الإسراء:١٥)، ولعل أن يتوب منهم تائب ويرجع راجع، ولو أن الله أخذ الناس بظلمهم حين يتورطون في معاصيه ويرتكبون مناهيه؛ ما ترَك على ظهرها من دابة.

قال الله تعالى: «وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا» (الكهف:٥٨).

وقال الله تعالى: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا» (فاطر:٤٥).

فعلى المسلم أن يجعل من شهر رمضان نقطة تحول، من السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، وأن يبدأ جادًّا في إصلاح نفسه، وتغيير مجرى حياته، وحياة أسرته من الشرِّ إلى الخير، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن التفريط والتهاون والإضاعة، إلى التوبة والإنابة والطاعة، ليحصل له في دنياه وآخرته الخير والفلاح، والتوفيق والنجاح، اللهم ارزقنا التوبة النصوح، واجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين، آمين.



اختلاف المطالع وأثره في الصيام والفطر

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحْمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبَّد. أما بعد

من المسائل التي يكثر فيها الخلاف، وتثور بشأنها المشكلات المتجددة سنويا مسألة اختلاف المطالع، وأثره في الصيام، والفطر، والتي سنتناولها - بإذن الله - بالتفصيل الآتي:

الوقفة الأولى: معنى اختلاف المطالع، وتحرير محل النزاع:

أولا: معنى اختلاف المطالع:

اختلاف المطالع تعبير يستخدمه الفقهاء، ويريدون به موضع طلوع الهلال في جهة المغرب، حيث إن الهلال يرى في أول الشهر، أكثر من يوم على اختلاف البلاد والأمصار فيشاهده الناس في بلد في وقت، ويشاهدونه في غيره في وقت آخر، وهذا هو "اختلاف المطالع".

ثانيًا: تحرير محل النزاع:

اختلاف مطالع الأهلة من الأمور التي عُلمت بالضرورة حسًا وعقلاً، لا مجال لإنكاره لأنه أمر واقع ملموس ومشاهد ولم يختلف فيها أحد، قال الشيخ نجيب المطيعي - رحمه الله-: (القول بعدم اعتبار المطالع يخالف المعقول والمنقول، أما مخالفته للمعقول: فلمَا عُلِمَ من مخالفته لما هو ثابت بالضرورة من اختلاف الأوقات، ولأن الشمس تشرق على من كان أدنى منا للمشرق، فتشرق عليهم الشمس قبلنا، ويدخلون في حرمة الأخذ بشيء من المفطرات ونحن مفطرون، وكذلك تغرب الشمس عندهم قبلنا؛ فيفطرون ونحن صُوَّام...) ا.هـ.

الوقفة الثانية: سبب الخلاف في المسألة:

قال الشيخ أبو بكر سال في "اعتبار اختلاف المطالع بين الفقه والواقع": «عند إمعان النظر في منشأ الخلاف حول هذه المسألة يتبين أنه يرجع إلى الأمور الآتية:

أولا: تردد مطلع الهلال بين الإطلاق والنسبيَّة.

ثانيًا: صلاحية عموم الخطاب للتخصيص، وصلاحية مطلق الرؤية للتقييد بالدليل العقلي.

ثالثًا: تعارض الآثار، كموقف ابن عباس رضي الله عنهما تجاه رؤية أهل الشام في "قصة كريب".

رابعًا: تردد المعنى الذي يفيده حديث ابن عباس في "قصة كريب" بين أن يكون معنى مغايرا يقيّد



به مطلق قوله صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، أو يكون معنى مؤكدًا له.

الوقفة الثالثة: أقوال أهل العلم في اعتبار اختلاف المطالع في إثبات الصيام، أو الفطر:

اختلف العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال كالتالي:

القول الأول: إذا رئي الهلال في بلد لزم جميع البلاد العمل بهذه الرؤية؛ والصيام، أو الإفطار بموجبها، وهو رأي الحنفية، والحنابلة.

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا الرأي بالقرآن، والسنة، والمعقول:

أولا: القرآن الكريم: قال تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة: ١٨٥)، فهذه الآية دليل على وجوب الصيام متى ثبت دخول الشهر بالرؤية، فإذا ثبت برؤية في بلد، لزم الجميعَ الأخذُ بها.

ويرد على هذا الاستدلال: بأن الآية عامة، ومعناها- كما قال الطبري-: «من دخل عليه شهر رمضان، وهو مقيم في داره، فعليه صوم الشهر كله» ا.هـ.

ثانيا: السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غمّي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين» (رواه البخاري ومسلم).

وجه الدلالة: أن هذا خطاب للأمة كافة، فمتى ثبتت رؤية الهلال في بلد لزم جميعَ البلدان الأخذ بهذه الرؤية.

ويرد على هذا الاستدلال: بقول ابن حجر في "الفتح": "«أن الخطاب موجّه لأهل كل بلد، فمتى ثبتت الرؤية في بلد لزم جميعَ مَن في البلد الصومُ، ولا يلزم جميع البلاد» ا.هـ.

ثالثا: المعقول: قال ابن قدامة في "المغني": «الشهر اسم لما بين الهلالين، وقد ثبت أن هذا اليوم منه في سائر الأحكام، فيجب صيامه بالنص والإجماع» ا.هـ.

القول الثاني: إذا رئي الهلال في بلد لزم الصومُ أهل البلادَ القريبة والبعيدة؛ أما البلاد البعيدة جدًا فلا يلزمهم الأخذ بهذه الرؤية. وهو القول المعتمد في المذهب المالكي.

أدلته: استدلوا بما سبق من أدلة الرأي الأول، واستثنوا البلاد البعيدة جدًا للإجماع.

القول الثالث: إذا رئي الهلال في بلد لزم الصومُ ما قَرُب من البلدان دون ما بعُد؛ وهو قول جمهور الشافعية، وقول عند الحنابلة، وقال به بعض الحنفية وبعض المالكية.

أدلتهم: عن كريب رضي الله عنه أنَّ أمَّ الفضل بنتَ الحارث بعثَتْه إلى معاوية بالشام. قال: «فقَدمتُ الشامَ. فقضيتُ حاجتَها. واستهلَّ عليَّ رمضانُ وأنا بالشام. فرأيتُ الهلالَ ليلةَ الجمعة. ثم قدمتُ المدينةَ في آخر الشهر. فسألني عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما. ثم ذكر الهلالَ فقال: متى رأيتُم الهلالَ فقلتُ: رأيناه ليلةَ الجمعة. فقال: أنت رأيتَه؟ فقلتُ: نعم. ورآه الناسُ. وصاموا وصام معاويةُ. فقال: لكنا رأيناه ليلةَ السَّبت. فلا تزال نصومُ حتى نكمل ثلاثين. أو نراه. فقلتُ: أو لا تكتفي برؤية معاويةَ وصيامه؟ فقال: لا. هكذا أمرَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم.» (رواه مسلم).

وجه الاستدلال: أن ابن عباس وأهلَ المدينة لم يعتدُّوا برؤية أهل الشام، وقول ابن عباس: «هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم» يدل على أن هذا ليس من اجتهاده، وإنما هو امتثال لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون هذا الحديث حجة في عدم اعتبار رؤية البلدان المتباعدة، وأن لأهل كل بلد رؤيتَهم.

الرد على هذا الاستدلال، من وجهين:

الوجه الأول: يحمل الحديث على أنهم لا يفطرون بقول كريب وحده، بل لا بد من شهادة رجُلين، أو استفاضة.

الوجه الثاني: الحجة إنما تكون في المرفوع من رواية ابن عباس، وليس في اجتهاده، وهذا المرفوع يخالفه حديثٌ صحيح- تقوم به الحجة- وهو ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أهل السنن بلفظ: «أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذكَرَ رمضانَ، فقال: لا تصُوموا حتى تَروا الهلالَ، ولا تُفْطروا حتى تَرَوْهُ، فإنْ غُمَّ عليكم فأكملوا العدَّةَ ثلاثين» (رواه البخاري ومسلم).

قال الشوكاني – رحمه الله – في " نيل الأوطار ": «وهذا لا يختص بأهل ناحية على جهة الانفراد

بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين فالاستدلال به على لزوم رؤية أهل بلد لغيرهم من أهل البلاد أظهر من الاستدلال به على عدم اللزوم لأنه إذا رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما لزمهم ولو سلم توجه الإشارة في كلام ابن عباس إلى عدم لزوم رؤية أهل بلد لأهل بلد آخر لكان عدم اللزوم مقيدا بدليل العقل وهو أن يكون بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع، وعدم عمل ابن عباس برؤية أهل الشام مع عدم البعد الذي يمكن معه الاختلاف في عمل بالاجتهاد وليس بحجة ولو سلم عدم لزوم التقييد بالعقل فلا يشك عالم أن الأدلة قاضية بأن أهل الأقطار يعمل بعضهم بخبر بعض وشهادته في جميع الأحكام الشرعية والرؤية من جملتها وسواء كان بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع أم لا فلا يقبل التخصيص إلا بدليل ولو سلم صلاحية حديث كريب.» ا.هـ.

القول الرابع: أن لكل بلد رؤيته الخاصة به، ولا يلزم برؤية غيره؛ وهو قول عكرمة- مولى ابن عباس- والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وإسحاق بن راهويه.

أدلته: استدلوا على ذلك بحديث كريب المتقدم.

القول الراجح: بالرغم من أن قول الجمهور له وجاهته، إلا أن القول الرابع: أن لكل بلد رؤيته الخاصة به، ولا يلزم برؤية غيره، هو الذي عليه العمل، ويحقق مصلحة الأمة في اجتماع أفرادها، ويدفع مفسدة تفرقهم وتشرذمهم:

وجه الترجيح:

١- قال الإمام السبكي - رحمه الله - في " العلم المنشور في إثبات الشهور ": «لأن عمر بن الخطاب وسائر الخلفاء الراشدين لم ينقل أنهم كانوا إذا رأوا الهلال يكتبون إلى الآفاق ولو كان لازما لهم لكتبوا إليهم لعنايتهم بأمور الدين» ا.هـ.

٢- أن الأخذ بهذا القول يدرأ المفسدة الناشئة عن الاختلاف الفقهي، عند بعض المسلمين، حيث يترتب عليه خلل كبير فالبعض يأخذ بقول الجمهور - فيصوم مع أهل بلد آخر رؤي الهلال فيه، بالرغم من عدم رؤية الهلال في بلده، فيصبح صائما، وأهل بلده مفطرون، وفي آخر الشهر تكون الفتنة، والخلاف، والشقاق، لأنه يصبح مفطرا في عيد، والناس من حوله في صيام، فيخرج للشوارع، والطرقات مكبرًا ومهللاً، ويجتمع معه من يوافقه في الساحات، ليخطب فيهم واحد منهم بعد أن يصلي بهم، فيدب الشقاق، والخلاف، والتناحر، بين المسلمين، ويقعون فيما حذرهم ربهم من الوقوع فيه، من الاختلاف المذموم. بينما لا ينشىء عن العمل بالقول الراجح ثمة اختلاف بين أفراد الدولة الواحدة.

وقد رجح كثير من العلماء المعاصرين العمل بهذا القول، ومنهم:

الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله -.

الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني- رحمه الله -.

مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، حيث قرروا بقرارهم رقم ٢ بالاجماع ترجيح هذا القول.

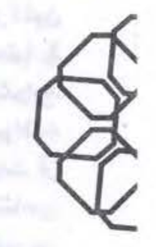
الوقفة الرابعة: الحكم في حالة تعذر الرؤية الشرعية في البلد:

قد يتواجد بعض المسلمين في بلد غير إسلامي، ليس بها رؤية شرعية، وقد يتواجد البعض الآخر ببعض البلدان التي يستمر فيها النهار ستة أشهر فلا يتمكنون من رؤية الهلال، فما الحكم في هاتين الحالتين؟

الحكم في الحالتين:

أجاب الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله - على سؤال: «كيف يصوم المسلمون في بعض بلاد الكفار التي ليس بها رؤية شرعية؟ فقال: فإن هؤلاء يمكنهم أن يثبتوا الهلال عن طريق شرعي، وذلك بأن يتراءوا الهلال إذا أمكنهم ذلك، فإن لم يمكنهم هذا، فإن قلنا بالقول الأول في هذه المسألة فإنه متى ثبتت رؤية الهلال في بلد إسلامي، فإنهم يعملون بمقتضى هذه الرؤية، سواء رأوه أو لم يروه. وإن قلنا بالقول الثاني، وهو اعتبار كل بلد بنفسه إذا كان يخالف البلد الاخر في مطالع الهلال، ولم يتمكنوا من تحقيق الرؤية في البلد الذي هم فيه، فإنهم يعتبرون أقرب البلاد الإسلامية إليهم، لأن هذا أعلى ما يمكنهم العمل به.» ا.هـ.

والله الموفق.





المسلم في رمضان بين الإيجابية والسلبية

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد بجامعة التضامن الفرنسية العربية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

اليوم أهمس في أذنك ببنات أفكاري اعتبرها كحديث الركب، موضوعات كبيرة تساق في أسطر قليلة؛ وذلك لنباهة عقلك وسمو فكرك.

العبد في رمضان بين الإيجابية والسلبية

فما الإيجابية؟

الإيجابية حالة في النفس تجعل صاحبها مهموماً بأمر ما، ويرى أنه مسؤول عنه تجاه الآخرين، ولا يألو جهداً في العمل له والسعي من أجله. كما أنها تحمل معاني التجاوب، والتفاعل، والعطاء.

المسلم الإيجابي: هو الفرد، الحي، المتحرك، المتفاعل مع الوسط الذي يعيش فيه.

أما السلبية: فتحمل معاني التقوقع، والانزواء، والبلادة، والانغلاق، والكسل، والتثبيط، وتوقع الأسوأ، والتشاؤم.

والمسلم السلبي: هو الفرد البليد، الذي يدور حول نفسه، لا تتجاوز اهتماماته أرنبة أنفه، ولا يمد يده إلى الآخرين، ولا يخطو إلى الأمام.

أما المجتمع السلبي الذي يعيش فيه كل فرد لنفسه على حساب الآخرين فهو مجتمع زائل لا محالة، كما أن المجتمع الإيجابي مجتمع راقٍ عالٍ لا شك في ذلك.

أما الفرق بين السلبي والإيجابي كالفرق بين الليل والنهار.. الجماد والكائن الحي.. الفرق بين الوجود والعدم. أخذتها من قوله تعالى: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (النحل:٧٦). لقد سمى الله السلبي في هذه الآية «كَلٌّ»، والإيجابي بـ «يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ».. «كَلٌّ» أصعب من سلبي؛ لأن سلبي معناها غير فعال، أما كَلٌّ فمعناها الثقيل الكسول، وقبل هذا فهو «أَبْكَم» لا يتكلم ولا يرتفع له صوت.

موجود بيننا مسلم يحمل هم رمضان، ومسلم أيضًا لا يحمل هم رمضان..

الأول يحمل هم أين يجد مسجداً يصلي بجزء أو أكثر وكيف يصل إليه بأسرع وقت ليدرك الصف الأول وكيف يأخذ أولاده وكيف يرتب أمره، كيف يدبر وقته ليختم ثلاث ختمات أو أكثر؟

والثاني يحمل هم طول ساعات الصيام وحرها وكيف يصبر على عدم تناوله الدخان أو كيف يهذب لفظه وصوته وكيف يمسك لسانه عما تعود عليه وكيف يكظم غيظه.

لذا سنسأل هذا السؤال وننطلق من إجابته:

ما محتوى الإدراك لدى الإنسان المسلم وحدود المدركات: (المكان، الزمان، الأشياء، الوقائع، الغايات، الأهداف) ما مدى انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين؟

أحدهما يدرك تماماً أنه إن أدرك رمضان هذا فمن فضل الله، وهناك احتمال ألا يدرك رمضان المقبل (اللهم بلغنا رمضان).

أحدهما يعبد الله كأنه يراه يستحضر العبادة، ويجود فيها من استعداد ذهني وبدني وحركي، وإقدام عليها من غير إدبار أو كسل



أو ذبذبة، يقدم عليها وقلبه وجل بين خوف ورجاء، خوف ألا تقبل ورجاء أن تقبل.

أحدهما يدرك أنه مهما أتى بالعبادة فالفضل والقبول بيد الله سبحانه وتعالى، كما في حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَداً عَمَلُهُ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ: وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّه أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ. قال تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين).

أحدهما يخطط لأي مسجد سيذهب ويرتب مكانه في المسجد، وجدوله في ختم القرآن، وخدمة المسلمين ودعوة المسلمين وإظهار روح الإيجابية من مدح للآخرين، وإيثارهم دون إفراط وتعاهدهم بالسؤال، والتماس الأعذار، ونشر ثقافة الابتسامة بين الجميع.

أحدهما يرتب وقته في عمله ووظيفته في رمضان، فكثير من الناس لا يذهب لعمله بحجة أنه أقام الليل بالمسجد، وتأخر حتى صلى الفجر فتغيب عن وظيفته؛ وهذا الأمر فعليه أن يرتب حاله ويخطط لوقته إما بإجازة معتمدة، أو يدخر من ماله ما يعينه وبيته في رمضان ويتغيب عن عمله ويتفرغ لعبادته.

أحدهما سيرتب أدواته من سيارته أو مواصلاته أو زميله وملابسه النظيفة لإظهار السمت الحسن، فهي دعوة الصامتين، وبنظافتها ونمقها ترسل الرسائل الإيجابية، وبشاشة وجهه وانشراح صدره وابتسامته وسلامه على كل من قابله، كما يلزمه أن يخطط ليومه ولأهله وأولاده لما لهم عليه من حق لقوله تعالى: (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً..).

أحدهما سيخطط كيف يربي أولاده ويعبئهم نفسياً برسائله الإيجابية مثل من يختم معنا في رمضان؟ من يصلي معي الأربع ركعات أو أكثر دون أن يجلس؟ من ينصت للدرس؟ من يصلي ومن لا يحدث صوتاً فله مكافأة؟ وهكذا..... ويهذبهم ويعلمهم أن للمسجد قدسية، وأن يأخذ معه من يدرك هذا، والصغير بالبيت مع أمه وذلك بالمشورة.

أحدهما يخطط لميزانيته في رمضان فليس من الضروري أن يكون البيت فرعاً للسوق من تخزين السلع الأساسية وغيرها؛ مما ينتج في أسواقنا التاجر الجشع، وكأن المجتمع سيُقبل على مجاعة؛ فعليه أن يخالف المرأة في هذا ويتعاهد بشراء المستلزمات أولاً بأول.

يخطط لصلة الرحم وما يترتب عليها من كلفة انتقال أو كلفة إفطار، ويحتسب ويعقد النية لله فيها، ففي الحديث عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِه أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه)؛ أي: أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً للرزق عموماً، ولا تعني كلمة الرزق المال فقط بل الصحة رزق، والزوجة رزق، والأولاد رزق، وصحتهم رزق، والبركة رزق، وطول العمر، وكذلك حسن الخلق، وحسن الجوار، كما في بعض الأحاديث الصحيحة.

أما عن الغاية، فالكل يدرك غايته في رمضان من قوله تعالى: (لعلكم تتقون).

سلبيات يقع فيها بعض الصائمين

هناك سلبيات كثيرة تصدر عن بعض الصائمين في رمضان، من شأنها أن تحرمهم الغاية التي شُرِعَ من أجلها الصيام وهي التقوى، لقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) (البقرة/١٨٣)؛ لذلك يجب تجنب تلك السلبيات حتى لا نحرم التقوى.

من هذه السلبيات ما يلي:

أولاً: هجر المساجد في صلاة المغرب:

كثير من مساجدنا تشكو روادها الذين هجروها في صلاة المغرب؛ بحجة الإفطار مع العائلة، أو عدم صبر الصغار، أو الضيوف، وغير ذلك من الأعذار التي لا تُسقط صلاة الجماعة.

ثانياً: الغفلة عن متابعة المؤذن في أذان المغرب والانشغال بالإفطار:



فيفوت الصائم على نفسه هذه الفضيلة العظيمة. فعَنْ أبي سَعِيد الخُدْرِيِّ أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ المُؤَذِّنُ) رواه البخاري.

ثالثاً: تأخير الإفطار لحين انتهاء الأذان:

وذلك زيادة في التأكد من غروب الشمس، وهذا تكلف ظاهر منتشر بين بسطاء المسلمين، ويعد من الجهل في الدين والكلفة. فعن عبدالله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ). قَالَهَا ثَلاثاً. رواه مسلم.

رابعاً: تناقص الهمم بعد أيام قليلة من دخول رمضان:

بعض المصلين جهدهم قليل، فتراهم يحضرون صلاة التراويح يوماً أو يومين، أو ربما أسبوعاً واحداً في أول رمضان، ثم تقصر همتهم، وتقل عزيمتهم؛ فيتوقفون عن صلاة التراويح بقية الشهر؛ فعلينا أن نحذرهم من هذا على النطاق الشخصي، ونرتب معهم ونحثهم على ضرورة المحافظة عليها طلباً للبركة.

خامساً: الإفطار على المعصية:

مما ابتلينا به في رمضان ما تبثه بعض وسائل الإعلام من برامج محرمة كالفوازير والمسلسلات الهابطة، أضف إليها ما استحدث من الخيمات الرمضانية المختلطة، فكثير من الصائمين يتناولون إفطارهم إما أمام تلك البرامج المحرمة، أو في تلك الخيمات الرمضانية؛ فيصومون عما أحلَّ الله، ويفطرون على ما حرَّم الله.

ختاماً:

فالمسلم الإيجابي يدرك تماماً ما مدى انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين؟ من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن يعتزلهم، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، نقتحم على الناس مجالسهم في الطرقات والمقاهي نذكرهم بالله دون غلظة أو تعدٍ، وقصدت لفظة الاقتحام؛ أي الولوج بأدب واستئذان، وألا ندع سبيلاً للشيطان للتثبيط، وأختم بنصائح لإمام المسجد، وإدارات المساجد، أخذتها من ملاحظاتي في الأعوام السابقة، وقد أتت ثمارها بفضل الله لمن عمل بها:

لا تقرأ بقراءة غير قراءة بلدك (حفص) إلا إذا نبهت وكان خلفك متقنون.

نبِّه على مذهبك في سجود التلاوة، هل تكبر أم لا؛ حتى لا تحدث بلبلة عند من لا يراك من الرجال أو النساء.

نبِّه على مذهبك في صلاة الوتر، هل تصلي بثلاث ركعات متصلات أم غير ذلك.

اجهر بالبسملة إذا كنت أتممت سورة، وستنتقل لأخرى في ركعة واحدة.

لا تواظب على الدعاء في صلاة الوتر.

الدعاء في الوتر ليس خطبة (وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم).

درس التراويح إما أن يكون سلسلة علمية، أو تفسيراً لما تقرأه في صلاتك.

لا تقسُ على الناس بعبارات مثل: (زوّار رمضان - عُبَاد رمضان- هل ستأتون بعد رمضان؟....).

لا تقرأ من حفظك إلا إذا عيَّنت خلفك من يصحح لك.

كن سُنياً وراع من خلفك، وأحسن إدارتهم: (بكاء طفل - زحام - انقطاع تيار كهربائي - إغلاق مكيف - تعليمات أمنية، أو من الوزارة.....).

تقبل الله منا ومنكم، دمتم بخير وسعادة ومودة.

هذا، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.





خصائص شهر رمضان

إعداد الشيخ د: أسامة بن عبدالله خياط
إمام المسجد الحرام

الحمد لله الكريم المنّان، واهب النِّعم كريم العطايا قديم الإحسان، أحمدُه - سبحانه-، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منّ على عباده بصيام وقيام هذا الشهر المبارَك رمضان، وأشهدُ أن سيّدنا ونبيّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله خيرُ من صلّى وصامَ وقامَ لعبادة ربه الملك الديّان، اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتَّقوا الله - عباد الله-، (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ) (البقرة: ٢٨١).

عباد الله:

إن من نعَم الله السابغة، ومنَنه المُتتابعة، وآلائه الجليلة: أن جعلَ للأمة أوقاتًا تسمُو على أشباهها، وتمتازُ على نظائرها، وخصَّها بأزمنة هي غُررُ الزمان وتيجانُ الأيام، يُضاعَفُ فيها أجرُ العاملين، ويسمُو فيها قدرُ المُجتهدين، الذين يستبِقُون فيها الخيرات، ويهتبِلُون فيها الفُرصَ السانحات. وتسمُو نفوسُهم إلى سنِيّ المراتب، وتنزِعُ هِمَمُهم إلى شريف المطالب، وتحفزُهم إلى حيازَة الدرجات الرفيعة، والحظوَة بالنعيم المُقيم في جنات النعيم.

وإن من هذه الأزمنة الشريفة: هذا الشهر المُبارَك رمضان، إنه سيِّد الشهور، الشهرُ الذي اختُصَّ من بين سائر شُهور العام بخصائصَ تبوَّأ بها مقامَ الصدارَة بينها، وارتقَى بها إلى رِفعةٍ لا تُسامَى، وشرفٍ لا يُضاهَى.

وحسبُك أنه الشهرُ الذي أُنزل فيه الهُدى والنور والشفاءُ لما في الصدور: القرآنُ حبلُ الله المتين، والنورُ المُبين، والشفاءُ النافع، والعصمةُ لمن تمسَّك به، والنجاةُ لمن اتَّبعه، كما قال - سبحانه-: (شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ) (البقرة: ١٨٥).

وأيُّ شرفٍ يعدلُ هذا الشرفَ؟! وأيُّ فضيلة تعدلُ هذه الفضيلةَ؟!

لكنَّه اختُصَّ مع ذلك أيضًا بخصائص ازدادَ

بها شرفًا، وعلا بها قدرًا، وتضاعَفَ بها فضلاً.

فمن هذه الخصائص:

أنه شهرٌ تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجنة، وتغلَّقُ فيه أبوابُ النار، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في "صحيحيهما"، عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا دخل شهرُ رمضان فُتِّحت أبوابُ الجنة، وغُلِّقت أبوابُ جهنَّم، وسُلسلت الشياطين».

وهو تعبيرٌ بيِّنٌ عن سعَة رحمته - سبحانه-، وفيض جُوده بالعفو والمغفرة والعتق من النار، كما جاء في بعض طُرق هذا الحديث عند الشيخين: «إذا دخل شهرُ رمضان فُتِّحت أبوابُ الرحمة». وفي بعضها: «فُتِّحت أبوابُ السماء».

وكل أولئك مما يُشيرُ إلى تدفُّق العطاء الربَّاني، وغمره العبادَ بألوان الإكرام وضُروب الإنعام، حتى لا يكادُ يُرى فيه موضعُ حُجب، ولا مكانُ منع، ولا مقامُ حرمان.

ومنها أيضًا: أن صيامَه وقيامَه سببٌ لغُفران ما تقدَّم من ذنوب العبد، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في "صحيحيهما"، عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

وكما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في "صحيحيهما"، عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

لكنَّه غُفرانٌ مخصوصٌ عند جُمهور أهل العلم بما دُون الكبائر؛ إذ لا تُكفِّرُها غيرُ التوبة، وردُّ الحقوق إلى أهلها إن كانت مُتعلِّقةً بحُقوق العباد، لقوله - صلى الله عليه وسلم- : «الصلواتُ الخمسُ، والجُمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنبَت الكبائر» (متفق عليه).

وهو بكل حالٍ فضلٌ عظيمٌ، وخصيصةٌ جليلةٌ لهذا الشهر، يستبينُ بها رفعةُ مقامه، وعلوُّ منزلته، وتفرُّدُه على غيره بمزيد الإكرام.

ومنها: أن فيه ليلةَ القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، كما قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (القدر: ١-٥).

وهي الليلةُ المُباركة التي ذكرَها - سبحانه - بقوله: (أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (الدخان: ٣، ٤).

وهي الليلةُ التي من قامَها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام البُخاري في "صحيحه"، عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قامَ ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

ومنها أيضًا: أنه شهرُ الصبر؛ إذ الصبرُ لا تظهرُ حقيقتُه، وتتَّضحُ صُورتُه أكثر من ظُهورها في الصيام؛ فإنه نصفُ الصبر، والصابرُ يُوفَّى أجره بغير حساب، كما قال - سبحانه-: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠).

ومنها: أن فيه دعوةً مُستجابةً لكل مُسلم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمدَ في "مسنده" بإسناد جيد، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما-، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكل مُسلم دعوةٌ مُستجابةٌ يدعُو بها في رمضان».

وهذا باعثٌ قويٌّ للعبد يحملُه على اهتبال هذه الفُرصة، واغتنام هذه الفضيلة في الازدلاف إلى مولاه محبَّةً وشوقًا، تضرُّعًا وانكسارًا، واطراحًا على بابه - سبحانه-، والتجاءً إلى جنابه؛ أملاً في الحظوَة عنده، وطمعًا في الرِّفعة لديه.

ولا غرْوَ بعد هذا - يا عباد الله - أن يكون

صيامُ هذا الشهر سببًا لتحقيق العبوديَّة لله ربِّ العالمين؛ إذ لا إمساكَ ولا إفطارَ إلا على الصِّفة التي شرعَها اللهُ ورسولُه - صلى الله عليه وسلم -، وفي الزمن الذي حدَّه؛ فإن الصائمَ عبدٌ لله لا تتحقَّقُ عبوديَّتُه إلا بعبادتِه - سبحانه - وحدَه بما شرَع.

فجماعُ الدين: ألا يُعبَد إلا الله، وألا يُعبَد إلا بما شرَع، ولن يصحَّ للصائم صيامٌ ولا عبادةٌ إلا إذا وُزِنَت بهذا الميزان الذي تقومُ كفَّتاه على الإخلاص لله والمُتابَعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ولذا كان الصومُ كلُّه - كما قال بعضُ العلماء -: "خُضوعًا للأمر الإلهيِّ، فلا أكلَ ولا شُربَ ولا مُتعةَ بما حُظِر على الصائم بعد تبيُّن الخيط الأبيَض من الخيط الأسوَد من الفَجر إلى غُروب الشمس، مهما جمَحَت النفسُ، وطغَت شهوةُ الطعام والشراب.

ولا إمساكَ عن الطعام والشراب أيضًا وما حُظِر في النهار بعد غُروب الشمس، مهما جمَحَت طبيعةُ الزُّهد والتنسُّك.

فليس الحُكمُ للنفس والشهوة والعادة - يا عباد الله -، لكنَّ الحُكمَ لله وحدَه، وكلما كان الصائمُ مُتجرِّدًا عن هواه، مُنقادًا لحكم الله، مُستسلمًا لقضائه وشرعه؛ كان أصدقَ في العبوديَّة، وأرسخَ قدَمًا". اهـ.

هذا وإن فضائلَ هذا الشهر المُبارك - يا عباد الله - لا تكادُ تنحصرُ، وكلُّها من الأدلَّة البيِّنة على سعة رحمته - سبحانه - بعباده، وإرادته بهم اليُسر، ووضعه عنهم الإصْر.

ألا وإن تذكُّر الصائم لهذه الفضائل والخصائص العظيمة المُباركة لهذا الشهر المُبارَك، يجبُ أن يكون باعثًا على كمال الشكر لله تعالى المُنعم بهذه الصفة، وذلك بتمام الحرص على حُسن أدائها، ورعايتها حقَّ رعايتها، والحذَر من إضاعَة فُرصتها وتفويت مغنَمها، والتفريط في جَميل الموعُود عليها.

فاتَّقوا الله - عباد الله -، واهتبِلوا هذه الفُرصةَ العظيمةَ فيما يعظُمُ به قدرُكم، ويعظُمُ به أجرُكم، ويرفعُ اللهُ به ذكرَكم.

عباد الله: لقد كان من السُّنَن النبويَّة العظيمة التي سنَّها رسولُ الهُدى - صلى الله عليه وسلم - في هذا الشهر: سُنَّةُ المُدارسة القُرآنية، كما جاء في الحديث الذي أخرجَه الشيخان في "صحيحيهما"، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، أنه قال: "كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريل فيُدارِسُه القرآن، فلرسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أجودُ بالخير من الرِّيح المُرسَلَة".

وفي الحديث: دلالةٌ ظاهرةٌ على الفضل العظيم لمُدارسَة القرآن في شهر القُرآن، وعلى استحباب الإكثار من التلاوة في هذا الشهر، وأنها أفضلُ من سائر الأذكار، وإلى توجيه الأنظار إلى ما بين المُدارسَة القرآنيَّة والجود بالخير من وَثيق صلة.

ذلك أنها - كما قال أهلُ العلم بالحديث -: تُجدِّدُ له العهدَ بمزيد غِنَى النفس، والغنى - أي: غِنى النفس - سببُ الجود الذي هو أعمُّ من الصدقة، وأيضًا رمضانُ موسمُ الخيرات؛ لأن نعَمَ الله على عباده فيه زائدةٌ على غيره.

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُؤثِرُ مُتابعَة سُنَّة الله في عباده، ولذا كان - صلى الله عليه وسلم - في الإسراع بالجود أسرعَ من الرِّيح المُرسَلة؛ أي: التي هيَ دائمةُ الهُبُوب بالرحمة. وهي إشارةٌ إلى عُموم النَّفع بجُوده - صلى الله عليه وسلم -، كما تعُمُّ الرِّيحُ المُرسَلةُ ما تهُبُّ عليه.

ووقعَ في رواية أحمدَ في آخر هذا الحديث: "لا يُسأل - أي: - صلى الله عليه وسلم - - لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه".

وهي كنايةٌ عن كمال الجُود ومُنتهاه.

وصلِّ اللهم وسلِّم على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله رب العالمين.



رمضان

الصوم إخلاص وتخليص

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله مدبِّر الليالي والأيام، ومصرِّف الشهور والأعوام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فالصيام من أعظم العبادات التي يتجلى فيها الإخلاص، وله أبلغ الأثر في التخليص؛ والإخلاص لله هو أساس كل عمل، وغاية كل مريد، فعملٌ بلا إخلاص لا أجرَ له، وصلاةٌ بلا إخلاص لا ثواب لها، وصوم بلا إخلاص لا فائدة فيه، وصدقة بلا إخلاص لا قيمة لها.



حقيقة الإخلاص:

الإخلاص: إفرادُ الحق بالقصد.

قال إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله، وقال سهل بن عبد الله: أن يكون سكون العبد وحركاته لله، وقال أبو عثمان: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، فالمخلص هو الذي يعمل لا يحب أن يحمده الناس.

وقال يعقوب المكفوف: المخلص: مَن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقيل: المخلص: مَن يستوي عنده مادحُه وذامُّه.

والإخلاص فرض واجبٌ في حق كل مسلم ومسلمة. وقد أمر الله عباده بالإخلاص في العبادة، قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ» (البينة:٥)، بل أمَر النبي صلى الله عليه وسلم ذاته بإخلاص العبادة لله، فقال الله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ» (الزمر:٢).

وأمر الله عباده بإخلاص الدعاء له، قال الله تعالى: «وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (الأعراف:٢٩)، بل إن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الإخلاص يطهِّر القلب من الحقد والغلِّ والحسد، روى أحمد وابن ماجه وصحَّحه الألباني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث



لا يَغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم؛ إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». والمعنى أن هذه الثلاثة لو تمسك بها العبد طهَّر قلبه من الحقد والغل والخيانة.

والإخلاص طريق النصر؛ روى النسائي بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم». فأخْلص العمل لله تَنَلْ الرفعة في الدنيا والنعيمَ في الآخرة. (الثمار اليانعة لأبي بكر الحنبلي ص٣٤).

الإخلاص عنوان الصوم:

ولما كان الصيام من أعظم العبادات التي يتجلى فيها الإخلاص كان له أبلغ الأثر في التخليص (التقوى)؛ فأحلى أعطيات الصوم وأغلى معانيه الإخلاص، والإخلاص لله خَلاصٌ وتجرُّد بعيد عن أوحال الأرض.

والصوم هو العبادة الوحيدة التي خُصَّت بالنسبة إلى الله «...إلا الصيام فإنه لي». (جزء من حديث صحيح متفق عليه).

وكما قال الإمام أحمد: «لا رياء في الصوم، فلا يدخله الرياء في فعله، من صَفَّى صُفِّيَ له، ومن كَدَّر كُدِّرَ عليه، من أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للعبد كما كالَ».

والصوم يُعلِّم الناس الإخلاص، فما صام منافق، فما أحوجنا إلى الصيام والإخلاص!، ما أحوجنا إلى الفرار من الرياء، والصيام خير عون!. (فقه الصوم وفضل رمضان للعفاني ١/١٢ بتصرف).

المقصود من الصيام:

قال ابن القيم في زاد المعاد (٢/٢٨): «لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويُذَكِّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والضراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين وجُنَّة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يَطَّلعُون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بَشَر، وذلك حقيقة الصوم». اهـ. (زاد المعاد)

لذا فقد قال ربنا عن الصوم في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به». (رواه البخاري: ٣/٢٦، ومسلم: ٢/٨٠٧).

وذكر سبحانه أن الصوم الذي يتجلى فيه الإخلاص يستجلب التخليص (التقوى)، فيعين العبد على أن يجعل بينه وبين ما يغضب الله وقاية ويتخلص منه، فيقول الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣).

ولذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم

الصوم بأنه «جُنَّة» أي: وقاية وحماية، فقال صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنَّة». رواه مسلم. وأوصى صلى الله عليه وسلم من أراد التخلص من آثار غلبة الشهوة بالصوم، فقال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاءٌ (أي: قاطع للشهوة)». رواه البخاري.

وفي الصوم الخالص من تحرير الإرادة، والتخلي عن العلائق والعوائد والمألوفات، ما يجعل التخلص من المباحات أو المكروهات أو المحرمات أيسر وأكمل، ففيه يكون العبد قد وفقه الله للتخلي عن أشياء نافعة له، فكيف يزعم أنه لا يقدر على التخلص مما يضره؟ ويكون الإنسان قد وفقه الله للتخلي عن أشياء، يعتبر تعلق النفس وميلها لها أكبر ما يكون، لأنها من ضروريات الحياة، فكيف يزعم العبد بعدها أنه لا يقدر على التخلص مما هو دونها في تعلق النفس به وإلفها له؟ ولا يكون كل ذلك إلا في الصوم الذي أخلص فيه العبد لله؛ لأنه يحرر العبد من هواه، ويعيد ترميم وتقوية همته وبعث عزيمته، بما يكون فيه من تجارب ناجحة انتصر فيها العبد على نفسه وأعدائه الذين يتربصون به. (بالوحي نحيا، د. شرف طه يونس ص٩).

ولهذا أكثر المؤمنين لو ضُرب على أن يُفطر في شهر رمضان لغير عُذر لم يفعل؛ لعلمه بكراهة الله لفطره في هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهوات إذا علم أن الله يكرهه، فتصيرُ لذته فيما يرضي مولاه، وإن كان مخالفًا لهواه، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه، وإن كان موافقًا لهواه، وإذا كان هذا فيما حُرِّمَ لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء؛ فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حُرِّمَ على الإطلاق كالزنا وشرب الخمر، وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق، وسفك الدماء المحرمة، فإن هذا يُسْخط الله على كل حال وفي كل زمان ومكان، فإذا كمل إيمانُ المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلْقَى في النار. (لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي ص٢٨٨).

الإخلاص في النية:

إذن لا بد من إخلاص النية، وصدق التوجه إلى الله عز وجل، واحذر وأنت تعمل الطاعات مداخل الرياء والسمعة، فإنها داء خطير قد يُحْبط العمل، واكتم حسناتك، وأخفها كما تكتم وتخفي سيئاتك وعيوبك، واجعل لك خبيئة من عمل صالح لا يعلم به إلا الله عز وجل، من صلاة نافلة، أو دمعة في ظلمة الليل، أو صدقة سر، واعلم أن الله عز وجل لا يتقبل إلا من المتقين، فاحرص على التقوى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ» (المائدة:٢٧). ولا تكون ممن يَأْبَوْنَ دخول الجنة، كما ذكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبَى». قالوا: ومَن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبَى». رواه البخاري. (دروس رمضان، لعبد الملك القاسم ص١٢).

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبل منا ومنكم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



من فتاوى الأزهر

المذاكرة والامتحان في رمضان

السؤال: هل يجوز للطالب أن يفطر في رمضان للمساعدة في المذاكرة وفي الامتحان؟

الجواب: قال تعالى في أعذار الفطر في رمضان: «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥)، والمرض الذي يبيح الفطر هو الذي يطرأ أو يزداد بالصيام أو يحول دون الشفاء أو يترتب عليه ضرر آخر، ومثل المريض من يقوم بعمل شاق هو مورد رزقه الوحيد لا يستطيع الصوم معه، كالخباز الواقف أمام الفرن والحر شديد، وعمله بالنهار وقت الصيام.

على أن يكون المرض أو التعب واقعًا بالفعل لا متوهمًا ولا متوقعًا والطالب الذي يذاكر لا تتحتم مذاكرته بالنهار، وعليه أن ينسق بين واجباته وبين الوقت المناسب، فله أن يجعل مذاكرته بالليل إذا كان النهار في رمضان طويلا وحارا، ولا يجوز له الفطر لمجرد اختياره أن تكون مذاكرته بالنهار، وكل ذلك إذا لم يترتب على الصيام ضعف شديد في الجسم أو التفكير، أما إذا لم يكن ذلك فلا يجوز التفكير في الفطر.

وإذا كان الامتحان يعقد بالنهار وفي وقت الحر الشديد- قبيل الظهر إلى قبيل المغرب- ولو أصبح صائمًا أحس بالجوع أو أحس بالعطش الشديد الذي يؤثر على تفكيره فله الفطر عند الإحساس بالتعب، بمعنى أن ينوي الصيام ليلاً ويتناول سحوره ويستريح أو يذاكر، فإذا دخل الامتحان في الوقت المذكور ولم يحس تعبًا فلا يجوز له الفطر، أما إذا أحس بالتعب فيفطر عند الإحساس به، أما ألا ينوي الصيام ولا يتسحر ويصبح مفطرًا ليستعد للامتحان في فترة الحر فذلك لا يجوز مطلقًا فالتعب المتوقع متوهم غير واقع بالفعل.

وكذلك لو كان الامتحان في الساعات الأولى من النهار حيث الجو يكون مناسبًا ولا يوجد إحساس بالجوع أو العطش أو كان الامتحان في وقت الشتاء أو اعتدال الجو فلا يجوز أن يصبح مفطرًا، أي لا بد أن ينوى الصيام ليلا ويتسحر، ويبدأ الصيام ويدخل الامتحان صائمًا حيث لا يكون تعب.

وأقول لمن يذاكر ويدخل الامتحان عليك بتقوى الله واحرص على طاعته «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا» (الطلاق: ٤).

المفتي: الشيخ عطية صقر رحمه الله، (مايو ١٩٩٧).

الحقنة في الصيام

هل الاحتقان بالحقنة المعروفة الآن في العضدين أو الفخذين أو رأس الأليتين مفطر للصائم أم لا؟

الجواب: الشرط في المفطر أن يصل إلى الجوف وأن يستقر فيه، والمراد بذلك أن يدخل إلى الجوف ولا يكون طرفه خارج الجوف ولا متصلاً بشيء خارج عن الجوف، وأن يكون الوصول إلى الجوف من المنافذ المعتادة؛ لأن المسام ونحوها من المنافذ التي لم تجر العادة بأن يصل منها شيء إلى الجوف.

ومن ذلك يعلم أن الاحتقان بالحقن المعروف الآن عملها تحت الجلد سواء كان ذلك في العضدين أو الفخذين أو رأس الأليتين أو في أي موضع من ظاهر البدن غير مفسد للصوم لأن مثل هذه الحقنة لا يصل منها شيء إلى الجوف من المنافذ المعتادة أصلاً وعلى فرض الوصول فإنما تصل من المسام فقط وما تصل إليه ليس جوفًا ولا في حكم الجوف. والله تعالى أعلم. (المفتي: الشيخ محمد بخيت المطيعي).

الفطر عمدًا في رمضان

أرجو الإفادة فيمن قام للسحور فوجد أن ميعاد السحور انتهى وحل الفجر. فأكل لأنه لا يمكنه الصيام بدون سحور وأمسك بعد الأكل مباشرة عن كل ما يفطر إلى نهاية اليوم أي إلى الغروب؟

الجواب: إنه إذا دخل وقت الفجر في رمضان لا يجوز لمن وجب عليه الصوم الأكل والشرب والوقاع، ويجب عليه الإمساك عن كل ذلك؛ فإذا أكل عامدًا بعد أن حل وقت الفجر فقد فسد صومه ووجب عليه القضاء والكفارة في مذهب الحنفية، وهي حسب الميسور الآن صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا غداء وعشاء أو فطور وسحور مشبعين، أو إعطاء كل مسكين نصف صاع من بُرّ أو دقيق، أو قيمة ذلك. ومن هذا يعلم الجواب عن السؤال حيث كان الحال كما ذكر به. (المفتي الشيخ/ حسنين محمد مخلوف).

المرض المبيح للفطر

عندي مرض السكر، ولا يمكنني الاستغناء عن الماء ولا عن الغذاء فإن صمت وامتنعت عن الماء والغذاء يحصل عندي ضعف ولا يمكنني القيام لمباشرة عملي الذي أستعين به على الحصول على معاش أولادي فضلاً عما يلحقني من الضرر. فما الحكم الشرعي؟

الجواب: إن الحنفية قد نصوا على أن المريض إذا غلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو إخبار طبيب حاذق مأمون أن صومه يفضي إلى زيادة مرضه أو إبطاء برئه جاز له الفطر في رمضان، وكذلك يجوز الفطر للمريض بمرض السكر المعروف إذا كان صومه يفضي إلى عدم قدرته على أداء عمله الذي لا بد لعيشه أو عيش من يعولهم، وعليه أن يقضي ما أفطره من رمضان في أيام أخر بعد زوال هذا العذر؛ فإن تحقق اليأس من زواله وجبت عليه الفدية كالشيخ الفاني بشرط أن يستمر عجزه إلى آخر حياته ولا قضاء عليه في هذه الحالة والفدية هي إطعام مسكين واحد عن كل يوم غداء وعشاء مشبعين أو إعطاؤه نصف صاع من بُرّ أو دقيق أو قيمة ذلك عن كل يوم.

ومن هذا يُعلم الجواب عن السؤال حيث كان الحال كما ذكر به. (المفتي: الشيخ حسنين محمد مخلوف).





فتاوى اللجنة الدائمة عن شهر رمضان

نية الصوم

س: هل نية صوم رمضان تجب ليلاً أو نهارًا كما إذا قيل لك في وقت الضحى إن هذا اليوم من رمضان تقضيه أم لا؟

ج: يجب تبييت نية صوم شهر رمضان ليلاً قبل الفجر، ولا يجزئ بدون نية صومه من النهار، فمن علم وقت الضحى أن هذا اليوم من رمضان فنوى الصوم وجب عليه الإمساك إلى الغروب، وعليه القضاء؛ لما رواه ابن عمر عن حفصة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان وصححاه مرفوعًا. هذا في الفرض، أما في النفل فتجوز نية صومه نهارًا إذا لم يكن أكل أو شرب أو جامع بعد الفجر؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنه دخل عليها ذات يوم ضحى فقال: هل عندكم شيء؟ فقالت: لا، فقال: «إني إذًا صائم». خرجه مسلم في صحيحه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (٤٣٥٢)

كثرة النوم في نهار رمضان

س: هل الإنسان في أيام رمضان إذا تسحر ثم صلى الصبح ونام حتى صلاة الظهر، ثم صلاها ونام إلى صلاة العصر، ثم صلاها ونام إلى وقت الفطر، هل صيامه صحيح؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكر، فالصيام صحيح، ولكن استمرار الصائم غالب النهار نائماً تفريط منه لاسيما وشهر رمضان زمن شريف ينبغي أن يستفيد منه المسلم فيما ينفعه من كثرة قراءة القرآن وطلب الرزق وتعلم العلم.

(فتاوى اللجنة الدائمة فتوى ١٠/١٢٩).

بلع الريق للصائم

س: ما حكم بلع الريق للصائم؟

ج: لا حرج في بلع الريق، ولا أعلم في ذلك خلافاً بين أهل العلم لمشقة أو تعذر التحرز منه. أما النخامة والبلغم فيجب لفظهما إذا وصلتا إلى الفم، ولا يجوز للصائم بلعهما لإمكان التحرز منها، وليسا مثل الريق. وبالله التوفيق. (الشيخ ابن باز رحمه الله-مجموع الفتاوى ٢٥١/٣).

استنشاق الصائم للبخار

س: أفيدكم بأنني أحد العاملين في المؤسسة العامة للتحلية، ويحل علينا شهر رمضان ونحن صائمون وعلى رأس العمل، والذي فيه بخار ماء من المحطة التي نعمل بها، وقد نستنشقه في كثير من الأحوال فهل يبطل صيامنا؟ وهل يلزمنا قضاء ذلك اليوم الذي استنشقنا فيه بخار الماء سواء كان فريضة أم نافلة؟ وهل علينا عن كل يوم صدقة؟



ج: إذا كان الأمر كما ذكر؛ فصيامكم صحيح ولا شيء عليكم.

(اللجنة الدائمة، فتوى رقم ١١٣١).

حكم صوم الحامل والمرضع

س: الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على الولد في شهر رمضان وأفطرتا فماذا عليهما؛ هل تفطر وتطعم وتقضي، أو تفطر وتقضي ولا تطعم، أو تفطر وتطعم ولا تقضي؟ ما الصواب من هذه الثلاثة؟

ج: إن خافت الحامل على نفسها أو جنينها من صوم رمضان أفطرت فعليها القضاء فقط، شأنها في ذلك شأن المريض الذي لا يقوى على الصوم أو يخشى منه على نفسه مضرة، قال الله تعالى: «ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر».

وكذا المرضع إذا خافت على نفسها إن أرضعت ولدها في رمضان، أو خافت على ولدها إن صامت ولم ترضعه- أفطرت وعليها القضاء فقط.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٦٠٨).

السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٤٥٣)

حكم تأخير القضاء للمشقة

س: إن زوجتي عليها ثلاثة أو أربعة رمضانات قضاء، لم تستطع صيامهن بسبب الحمل أو الرضاعة، فهي الآن مرضع. فهي تسأل فضيلتكم فهل تجد رخصة للإطعام حيث إنها تجد مشقة شديدة في القضاء لعدد ثلاثة أو أربعة رمضانات؟

ج: لا حرج عليها في تأخير القضاء إذا كان بسبب المشقة عليها من أجل الحمل والرضاع ومتى استطاعت بادرت بالقضاء لأنها في حكم المريض والله سبحانه وتعالى يقول: «ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر»، وليس عليها إطعام.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء



التمور الطحان ®
أصالة الزمان

حاصل على شهادة
ISO 22000

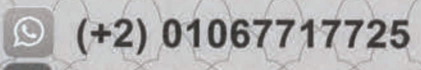
...وق ..
وعليك أن تتذوق

Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪

بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة

www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113



Altahhan.goldendates



قلعة صناعة التمور فى مصر